مختصر
في ظلال الأخلاق

للشيخ الفاضل الوالد
عمر محمود ابو عمر حفظه الله

اختصره

الفقير إلى الله
زين ابراهيم عفا الله عنه

MULAZAMAH
MUTIARA MUSLIMAH
GADUNGAN - KARANGANYAR

مختصر
في ظلال الأخلاق

MULAZAMAH
MUTIARA MUSLIMAH
www.mutiaramuslimah.com

عنوان المصنف: مختصر في ظلال الاخلاق

للشيخ الفاضل الوالد الشيخ عمر محمود ابو عمر حفظه الله
إختصره: زين ابراهيم حفظه الله

الطبعة الاولى: ذو الحجة ١٤٤٣ ه
الطبعة الثانية: محرم ١٤٤٦ ه

الفهرس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المختصر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له, ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا مختصر لكتاب تفريغ سلسلة في ظلال الاخلاق للشيخ الفاضل الوالد الشيخ عمر محمود ابو عمر حفظه الله. في البداية هذا المختصر تسهيلا لي على فهمه و مذاكرته و استفادته.

وأسأل الله أن ينفعني به والمسلمين وطلاب العلم.

وَكَتَبَهُ أَفْقَرُ العِبَادِ إِلَى اللهِ تَعَالَى

أَبُوْ أَسَدِ الرَّحْمٰنِ زَيْنُ إِبْرَاهِيْمَ

مركز متيارة مسلمة للملازمة

كَرَڠْاَيَرْ - جَاوَةْ الوُسْطَى

https://t.me/pqsalim

https://mutiaramuslimah.com

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الغر الميامين، جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم آمين.

إخوتي الأحبة، إذا لم تُقم القواعد الصحيحة فالفروع لا قيمة لها، أو أن قيمتها تصبح لاغية حتى لو وُجدت، فلابد من الاهتمام بالقواعد.

لابد هذا شرط بأن تكون جامعة لما سيأتي عليها من فروع متعددة، فهي قواعد أصول، يُبنى عليها غيرها، والأمر الثاني، أن تكون سهلة ميسورة تصلح لكل المخاطبين، وهذا ما نراه في الإسلام، فنجد أن قواعد الإسلام، أولًا كلية، بنيت عليها الشريعة كلها، كما أن آيات المكيّة هي أصول، ولم يطرأ فيها النسخ قط، الآيات المكيّة كما يقول الإمام الشاطبي، لم يطرأ عليها النسخ لأنها أصول الإسلام، القضايا الإسلامية العظمى.

وهذه القضايا الكلية، كذلك سهلة ميسورة، بمعنى أن الإسلام يخاطب الإنسان كله، ويخاطب البشرية جمعاء، وبالتالي يكون خطابها لكل الناس.

أننا بحاجة أن نعود إلى الأصول، يوجد كلام كثير اليوم يُبرز الناس فيه قواهم الفكرية والكلامية، يتكلمون عن قضايا كثيرة جدًا، يتكلمون حتى عن الفن الإسلامي، يتكلمون عن علم الجمال الإسلامي، وهي قضايا جميلة جدًا ممتعة لكنها في غفلة عن القضايا الكلية.

والقواعد التي يُبنى عليها الإسلام، إذا لم تُوجد فإن الإسلام يصبح بعد ذلك زينة للحياة وليس مغيّرًا للحياة، يصبح بعد ذلك لباسًا يُتزيّ به وليس أصلًا يُقام عليه كل شيء، من هنا لابد أن نعود إلى القضايا الكلية، التي طرحها القرآن المكيّ.

الحديث عن القضايا الكلية مهم جدًا، وللأسف أنه إذا ابتعد العالم والفقيه والذكي، إذا ابتعد عنها، انقطعت صلته بالأصل، بعد ذلك يصبح مجرد مغني، مجرد صدى لقضايا مختلفة، ويصبح إمعة.

وأنا أعتقد بأن أهم ما يفقده المسلمون اليوم على كل طبقاتهم، سواء كان منهم متدين تدينًا شديدًا، أو المتدين تدينًا يسيرًا، أو الذي يمارس العمل الفكري، أو الذي يمارس العمل المادي، أو العامي أو العالم، أو الفقيه، أو الداعي إلى الله أو المفكر، ما نحتاجه إلى الأخلاق.

البناء الأخلاقي من أهم الأبنية والقواعد التي يجب أن نهتم بها في بناء

الإنسـان، وهـذا أمـر يجب أن نُكـرره في دروسـنا وأحوالنـا، نحن نـرى أن الأخلاق بابها عظيم، يقول صلى الله عليه وسلم: «أقربكم مني منزلة يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًـا»، القضـية عظيمـة جـدًا، «وإن الرجـل ليبلـغ بحسـن خلقـه درجـة الصـائم القائم».

عندما نتحدث عن عبادة الأخلاق التي نحن نشكو من قلتها، ونشكو من فسادها ونشكو من وجود أضدادها في داخل المجتمعات الإسلامية المتدينة، ثم نشكو بها في داخل المجتمعات الإسلامية ككل، قضية الخلق قضية مهمة جدًا، وأحاسن الناس أخلاقًا أقربهم للإسلام، لأنـه انظر «أقربكم مني منزلة يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا»، يعني يدل على أن باب الخلق، هو الذي يقرب المرء من دخوله في سنة النبي صلى الله عليه وسلم أن محاسن الأخلاق تُدخلك في صورة النبي صلى الله عليه وسلم، في تمثله وفي الاقتداء به وفي اتخاذه أسوة، هذه قضية يغفـل عنهـا النـاس، ويظنـون لضـعفهم ولغلطهم بـأن بحث القضـية الأخلاقيـة هـو مبحث جميل يصلح للوعظ فقط، مع أن هذا خطأ جسيم جدًا، ولذلك علماؤنا لأهميـة كلمـة الخلـق، جعلـوا السـلوك البشـري كلـه اسـمه أخلاق، ويـدخل تحت مسمى الأخلاق، حتى التعامل مع الله خُلق، حتى التعامل مع الله يُسمونه خُلق، التعبد يسمونه خُلق، اتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم أسوة، خُلق، التعامل مع الكافرين بأنواعهم، مع المنافقين بأنواعهم، مع المؤمنين بأنواعهم، بهذا التنوع في الحياة، هذا يدخل في مسمى الخلق، لأن الخلق هو سمة للنفس، صفة تكون عليها النفس، فحينئذ لا تتجزأ، لقوله صلى الله عليه وسلم: «من لا يشكر الناس لا

يشكر الله ».

اليوم مصيبتنا مصيبة في القواعد والأسس والأصول.

عندما نتحدث عن الإيمان، الإيمان خلق، عندما نتحدث عن ضعف الإيمان إنما نتحدث عن ضعف الأخلاق، عندما نتكلم عن ضعف العبادة، نتكلم عن ضعف الخلق، انظر لقوله صلى الله عليه وسلم: «أفلا أكون عبدًا شكورًا». هذا خُلق، هذا خُلق في التعامل مع الله، ولا يمكن كما قلت إذا كانت في النفس أخلاق ما، لا يمكن أن تتجزأ، فلذلك علينا أن ندخل من هذا الباب إلى الناس، ندخل في أن نحسن أخلاقنا وأخلاق الناس من خلال تربية أنفسنا، ومن خلال مراقبتها ومن خلال دعوة الناس، وتقدمة المثال، الدعوة الكلامية المتكررة، ولابد كذلك من تقدمة المثال.

ربانية الأخلاق

وأعظم القواعد التي يُبنى عليها الإنسان وتُبنى عليها الشخصية المسلمة هي الأخلاق، من أعظم القواعد، وبيّنت فيها بأن الأخلاق هي صفة لازمة للنفس، لا تتجزأ، وفي التعامل مع الله، لابد من وجود هذا الخُلق، وفي التعامل مع الخلق لابد من وجود هذا الخُلق.

هنا لابد من قضية مهمة، في كيفية بناء الأخلاق، هذه قضية مهمة جدًا، وهي قضية مصدرية الأخلاق، لأن هذا مهم جدًا في دعوتنا، كيف نرتكز على الأخلاق، من عاش في الغرب يدرك بأن قضية الأخلاق هي قضية فلسفية، لكن تطبيق واقعها يتم من خلال القانون، يعني لا يوجد في داخل المجتمعات تربية تسمى تربية خلقية، بمعنى سلوكية، باعتبار أثرها الأخروي، وباعتبار أثرها الإنساني العميق، وإنما يتحدثون عن القانون.

يقولون القانون يجيز لك ذلك القانون لا يجيز لك ذلك، فإذا أجاز القانون فهو الخلق، مثلا العلاقة المحرمة بين الرجل والمرأة، القانون يجيزها بالتالي هي ليست سيئة، لا يعاقب عليها القانون بالتالي هي جائزة ومباحة، فلماذا؟ وحتى

عندما يتحدثون عن الأخلاق يتحدثون باعتبار مكاسبها الدنيوية، مثلا يأخذون دورة في قضية ما يسمى العلاقات الاجتماعية بين التجار، كيف تصبح تاجرًا ذكيًّا، كيف تصبح عارضًا لبضاعته، مسؤول توزيع، فيعلمونك الأخلاق بارتباطها كمنافع دنيوية عاجلة في الدنيا، وباعتبارها مصلحة تحقق لك الربح وتدرأ عنك الخسارة، من أجل هذا البعد الذي تحدثت عنه، الأخلاق نسبية، بمعنى يمكن اليوم أن يكون هنك خلق ما ممنوع وقبيح وبعد ذلك يصبح هذا الخلق مقبول، ومن ذلك مثلا أجلكم الله، اللواط، فكان ممنوعًا في المجتمعات الغربية، الآن يمنع الحديث عنه بتحقير، ومن حقّر هذا المجرم الشاذ، يُسجن ويُعاقب، ولا ندري بعد ذلك كيف تتحول الأخلاق.

هذه قضية مهمة جدًا، في التربية عندما نتحدث مع المسلمين كيف نربي؟

انظر إلى القرآن، انظر إليه، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ فربط الخلق بالعبادة، وجعل مصدر الخلق هو أنك عبد، يعني معنى ذلك أن مصدر الخلق هو الله، وأنه لا يمكن أن تعرف الأخلاق الحقيقية العميقة وأن تُبنى الصفات الأخلاقية العميقة والقوية لا يمكن أن تُبنى بدون الخطاب الإلهي، لا يمكن.

فإذن النقطة الأولى التي ينبغي أن نفهمها في حوارنا مع أمتنا، مع الناس، أن نُفهمهم الأخلاق باعتبارها عبادة لله، وباعتبارها استجابة لأمر الله عز وجل وأن مصدر هذه الأخلاق هو الله.

لـذلك ينبغي أن نهتم بهـذه القضـية في أن نبـني الأخلاق في نفوسـنا أولًا بأنها أمر إلهي، وأن نخاطب بها الناس ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ الإنذار يكون بالوحي، التخويف يكون بالله عز وجل.

فالتخويف بالله عز وجل هو أعظم تخويف، لا نخوّفهم بقوتنا، خاصة في هـذا الزمـان لا يوجـد للإسـلام دولـة، ولا يوجـد للإسـلام سـلطان، والـذي يفسـد لا يعاقب، الذي يأتي المحرمات لا يعاقب، فبمن نخوّفهم، نخوّفهم بالله عز وجل ﴿قُـلْ إِنَّمَـا أُنْـذِرُكُمْ بِـالْوَحْيِ﴾ وأن أبيّن لهم بـأن الأخلاق هي من الله، وأن الله عـز وجل.

الأخلاق يجب أن تكون ثابتة، ومرجعية ومعيارية، وشرط المعيارية الثبات، عندما نقـول: هـذا متر، وهـذا ذراع وهـذا كيلومـتر، وهـذا ميـل، فلا يتغير هـذا بتغير الزمـان والمكـان، بـل هـو معيـار لكـل مسـافة، سـواء كـانت في هـذا البلـد أو في بلـد آخر، فشرط المعيارية الثبات، وإذا تغيّرت المعيارية وصـارت متبدلـة فحينئذ يقـع الفسـاد في الأرض، يعني أن يكـون هـذا اليوم الخلـق حسنًا ثم يصبح قبيحًا ثم بعد ذلـك يصـبح قبيحًـا أو حسـنًا، هـذا يـدمّر المعياريـة، ويـدمّر ثباتهـا ويـدمّر تأثيرهـا، ولذلك يجب علينا أن نهتم ببناء الإنسان من خلال خطاب الله له، وعلينا أن نعظّم الأخلاق من خلال مصـدريتها ونبيّنهـا من خلال الكتـاب والسـنة، ولهـذا علينـا أن نرجع إلى الكتب التي جاءت لتربية الأخلاق، مثل رياض الصـالحين وكتب كثيرة، ابن أبي الـدنيا لـه كتب كثيرة تتعلـق بهـا، كتـاب الشـكر، كتـاب اليقين، كتـاب التوبـة، وهكـذا كتب كثيرة، كلهـا تتعلـق بمـا قالـه الله وقالـه الرسول صـلى الله عليـه

وسلم، عن الأخلاق باعتبارها قضايا ثابتة لا تتغير.

النموذج الخلقي

فلذلك نحرص أشد الحرص على ألا نذكر أمثلة نموذجية للأخلاق إلا من خلال الأئمة العظماء، الذين إذا نظرت إليهم من كل جهة رأيت توازنًا خلقيًا عظيمًا، لا ترى عندهم الصدق ثم ترى عندهم الخيانة، لا ترى عندهم الأمانة وترى عندهم بعد ذلك الكذب، لا ترى عندهم البخل وترى معهم الصدق. هذا لا يكون.

إذا نظرت إلى أئمتنا رأيت توازنًا عظيمًا، وإذا وُجد بعض الاختلال فيسير، مغفور، وله سببه أو له علّته أو له تفسيره، ولكن إذا نظرت للآخرين لم تجد هذا المعنى، وجدت اختراقات خُلقية سيئة في داخل هذا الباب.

كيف نكسب الأخلاق

الآن لابد من الحديث فيما يتعلق بالأخلاق عن قضية طرق اكتسابها، كيف نكتسب الأخلاق، وللأسف فإن كثيرًا من المشايخ يصفون أقوامًا بأخلاق ثابتة ويظنونها على معنى الثبات والرقم، كأنها حجارة ثابتة في مكانها إن غبت عنها مئة سنة عدت فوجدتها كما هي، هذا غير صحيح، الأخلاق بالتخلق، والأخلاق مكتسبة، ويستطيع المرء من بيئة بخيلة أن يربي نفسه فيكون هذا الرجل كريمًا، ويكون الرجل كريمًا فيتربى على خُلق البخل فيكون بخيلًا، بل إن المجتمع نفسه يمكن له أن يتغير، من خلال العمل ومن خلال التسليك الذي يُجرى عليه.

كذلك من المهم أن نذكر كذلك من إيجاد البيئات التي تساعد على الخلق، يعني نحن نعرف أن خُلق الصبر يوجد في أقوام بسبب أحوالهم البيئية، مع أن خلق الصبر لابد أن ننظر إليه أولا ممن نشاء، من الداعي إليه، كما أننا نرى العرب، عندهم صفة الشجاعة والكرم، من أين اكتسبوها؟ فالمرجعية الأولى هي مرجعية النبوة، اكتسبوها من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فأولا لابد من

مرجعيـة دعويـة خُلقيـة أن ننسـب الأخلاق إليهـا، من أين جـاءهم الصـبر، فنقـول جـاءهم الصـبر، علمهم إمـامهم الفلاني، جـاء هـذا داعي إلى الله بالصـبر فعلمهم الصبر، هذا نبي من الأنبياء في هذه البيئة، علمهم الصبر.

الموضوع الثاني الذي يتعلق بقضية الأخلاق، هو قضية البيئة المرافقة لها، قد يكون هذا الداعي بعيد الزمن كما في العرب، فينشئ أمة، وقد يكون الخلق خـاص بعائلـة فمن خلال شـيخهم، من خلال كبـيرهم، من خلال جـدهم يقـول هذه قبيلة فلان تُعرف بالكرم، ممن رباهم عليه؟ يقول شيخ هذه القبيلة كان كريمًا فسرى الكرم فيهم بتربية هذا الكريم لهم.

ويعجبـني في هـذا كلمـة لابن حـزم عليـه رحمـة الله، بـأن المـرأة الصـالحة ليست هي التي إذا نُوزعت لم تفسد، أو الرجل الفاسد هو الذي نوزع ففسد، قال هذا غير صحيح، الصالح هو الذي إذا كان سليمًا بعيدًا عن مواطن الفتن لم ينزع إليها، لم يذهب إليها، لأن الإنسان في النهاية له قدرة على التحمل، خاصة إذا طـالت المـدة، إذا طـال الـزمن، فلـذلك يعمـل الكفـار على الفقـر، على الإفقـار، ويفتحـون المجـالات التي يحصـل بهـا الكسـب عن طريـق المعاصـي، انظـروا إلى طريقتهم كما هو مشهور معروف.

عنـدما أرادوا أن يفسـدوا التعليم في مصـر، مـاذا صـنعوا؟ التعليم الـذي هـو الكتاتيب، وتعليم القرآن واللغة والتربية الإسلامية و.. إلخ. ماذا صنعوا؟ ضيّقوا على هؤلاء لم يفسحوا لهم المجال، لأنه ليس معهم شهادات يعتبرونها ويعترفون بها، وفتحوا مجالات الدراسة العلمانية التي يعطونها الأموال، وبالتالي الناس يضعفون،

بعد مدة يضعفون.

الحالة الاجتماعية، إذا تقدم رجل معه راتبه عالي غير رجل تقدم معه راتبه صغير، وهكذا بعد ذلك دمجوا المؤسسة الدينية بالمؤسسة العلمانية، دمجوها، أدخلوها، لأن الناس صاروا يتطلعون، ويريدون الدين، فقالوا لهم نعم، نعطيكم الدين ولكن نعطيكم معه سيطرة العلمانية، نموذجها وأخلاقها، كذلك البيئة يصنعون الفقر.

السلوك إذن حالة متغيرة، هذه قضية مهمة، السلوك الإنساني ليس حالة ثابتة، قد يتحول الشجاع إلى جبان، من خلال التربية والتسليك، وقد يتحول الجبان إلى شجاع، من خلال التربية والتسليك، ولذلك الاعتماد على أن هذا الطفل هذا جبان أو هذا بخيل أو هذا كذا، هذا غير صحيح. فتستطيع أن تغيره.

دراسة أعدائنا، لقضية تغيير الأخلاق هو مدخلهم لتغيير أمتنا لإفسادها، وبالتالي أين هذه الجموع التي تخرج من النساء تخرج سافرات كاسيات عاريات، من أين جئن؟ جئن من بيوت فيها الطهر وفيها العفاف وفيها الدين وفيها الأمهات الصالحات، والجدات العابدات القانتات، ومع ذلك تغير هذا السلوك، من خلال ماذا؟ الوضع الاجتماعي أولًا، لذلك هم يجعلون هناك من البيئات ما يغيّر هذا السلوك.

المجتمع والأخلاق

كذلك من المهم جدًا أن نبيّن أن المدخل إلى الدين الصحيح هو الخلق، كما أن المدخل الذي يتخذه الشيطان إلى الدين السيّء هو الخلق، وهي قضيّة أن السلوك ليس حالة ثابتة، بل يحتاج إلى الإرادة لتغيّره، إما إرادة الخير لتحول السلوك السيّء إلى الحسن، وإما إرادة الشرّ بتحول السلوك الحسن إلى الشرّ.

وذلك بأن نفهم بأن عدونا يدخل إلى تغيير عقائد الملّة، وعقائد المسلمين، من خلال تغيير الخلق، لأن الدين مرتبط عند الناس بخلق المرء، كما أنه مرتبط بتعبّده، يعني الناس يفرقون بين المرء الذي يذهب إلى المساجد، ومتعلق قلبه بالمساجد، وبين الرجل الذي لا يصلي، حتى ولو رأوه شيخًا، لكن يقولون هذا شيخ فاسد، لأنه غير متعلق بالمساجد، هذا شيخ فاسد لأنه.. وكذلك يقولون، لأنه ليس متعلق بالمساجد، هذا شيخ سيّء لأنه لا أخلاق عنده.

فالأخلاق مدخل للعقيدة، العدو هذه يستغلها أكثر منا.

النبي صلى الله عليه وسلم استغل في حياته قضية أخلاق الناس، وما يعظمونه في الدعوة إلى الله، نحن نعرف في صلح الحديبية، أنه لما جاء من يعظم شعائر الحج والهدي والقلائد، أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يعرض الصحابة أمامه الهدي، من أجل أن يدخل في قلبه أن ما يعظمه من الأخلاق، ومن العبادة

التي ورثها عن الأنبياء السابقين، وهي عبادة صحيحة، من بقايا دين إبراهيم عليه السلام، أنه مدخل إلى الحق، مدخل إلى الدين، الأعداء كذلك يفعلون هذا، لكن بطريقة معاكسة، فإنهم لما كانت الأخلاق دين فإنهم يدخلون على الدين من خلال الأخلاق.

وهو أن هناك غازيًا حاصر قرية ليدخل إليها، فأراد أن يكتشف أخلاق أهلها، لأن الأخلاق هي التي تدل على الصمود، وخاصة فيما يتعلق بخلق الإحسان وخلق الصبر. فأدخل وزيره إلى القرية، فذهب إلى بائع يبيع مثلًا القماش، فاشترى منه ثم أراد أن يشتري منه بضاعة أخرى، قماشًا آخر، فقال له البائع: أنا يكفيني هذا، أنك اشتريت مني، وجاري لم يبع هذا اليوم فاذهب فاشتر منه، هذا خلق حسن، هذا خلق طيب، يؤدي هذا الخلق إلى التكاتف والإحسان، وخلق الصبر كذلك، فذهب إلى الآخر وحدث معه ما حدث مع الأول، اشترى منه ثم أرسله إلى غيره وهكذا، وهذه تذكرك هذه القصة المثالية بقصة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في اليرموك، المشهورة عن عكرمة رضي الله عنه، عندما جاء ليشرب الماء، وهو يشربونه الماءِ وهو جريح، فأرسله إلى الجريح الذي يشربونه الماء... وإلى الجميع.

ولكن هي هذه الأخلاق تنشئ الشبكة بينك وبين الآخرين، تقوي الأواصر، بحيث لا تصبح أنت وحدك، تصبح أنت مجموعة، ولذلك المجتمع، ما معنى المجتمع ليكون مجتمعا، يساوي الأخلاق، المجتمع يعني الأخلاق.

إذن وجود الناس في داخل بيئة واحدة، لا يعني أنه مجتمع، المجتمع

يعـني وجـود الأخلاق، إذا وجـد الـتراحم بينهم، إذا وجـد الإحسـان لهم، الرجـل يحـدّث صـاحبه لمـا جـاء، انظـر إلى هـذه القضـية عنـدما قـال: «تبسّـمك في وجـه أخيـك صـدقة»، يـدخل المـرء إلى هـذا المكـان، أنت تـراقب، لـو وضـعنا مراقبـة لهؤلاء، كيف يعيشون.

كـانت في مجتمـع الصـحابة كـانت موجـودة لمن يعـرف ولمن لا يعـرف، حينئذ تحس بأنه مجتمع واحد، بهذا التكافل، واحد وراء واحد وراء واحد، لكن لو جلسوا هكذا صمود لا يجمعهم شيء، فحينئذ إذا فقدوا الأخلاق فقدوا معنى المجتمع، ومعنى الترابط.

تعظيم الأخلاق

أن المجتمع لا يكون مجتمعًا حتى يكون عنده الأخلاق، والأخلاق هي إذن دستور، الأخلاق هي دستور، ومن هنا سمى الشيخ الدراز كتابه "دستور الأخلاق في القرآن".

فهذه الشبكات الاجتماع الحياتية، تُنتجها الأخلاق، يقول الأخوة في الله وهي أول لبنة من لبنات هذا المجتمع: «سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله... رجلان تحابا في الله واجتمعا عليه»، وهذا ينتج بعد ذلك رجل قلبه معلق بالمساجد.

فهذه الأخوة في الله مالذي ينتجها؟ هل تتصور أخوة بلا تسامح، هل تتصور أخوة بلا إغداء، هل تتصور أخوة في الله عز وجل بلا عطاء، بلا كرم، هل تتصور الأخوة في الله بلا احترام؟ مالذي يُنتج معنى الأخوة؟ هل تتصور أخوة في الله بلا صدق، بلا نصيحة بلا أمانة، فالذي يُنتج لبنات المجتمع الداخلية الفردية، قبل كل شيء، قبل أن تنشئ المجتمع إنما هي الأخلاق، هي السلوكيات، وتزداد أواصر هذه العلاقات الداخلية بالأخلاق، حتى الأسرة في

تكوينها الأول لا يمكنها أن تنتج بلا أخلاق، بين الرجل والمرأة.

إن لم يكن هناك ما تكلمنا عنه من الأخوة في الله، من صفات الأخوة في الله، كالكرم كالشجاعة، كالفداء كالعطاء، كالسماحة، وغيرها مما يحتاجها الناس في تعاملهم اليومي مع إخوانهم في الله يحتاجها المرء مع زوجته كذلك، وتقوى الفطر التي تكلم عنها الشارع ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾.

التقوى من خلال هذه الأخلاق، وتترسخ أو تضعف من خلال هذه الأخلاق، الوالد الكريم يحبه ابنه أكثر، الوالد الصدوق يحبه ابنه أكثر، من لو كان بخيلا! الابن يحب أباه الصادق يحب أباه الأمين، يحب أباه الشجاع، يحب أباه الكريم، وهكذا، فالأواصر التي أنشأها الإسلام فطرة ورحمًا، إنما تقوى وتضعف بهذه الأخلاق، وأما غير ذلك، وهذا قلة في المجتمع ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ فما الذي ينتج اللبنات الأولى في داخل المجتمع إنما هي الأخلاق.

من هنا تأتي أهمية الأخلاق في بناء الأمم، نحن رأينا المجتمع، رأينا الأمم، رأينا الشرائع كيف هي، رأينا الآخرة كيف هي مع الأخلاق والآن نراها كيف في داخل المجتمعات الواحدة، حتى مع الحيوانات، وحتى مع الولد الصغير، لو قلت لولدك الصغير تعال أعطيك، فكذبت عليه، كانت كذبة عدت عليك كذبة عند الله عز وجل، حتى الحيوانات.

الرحمة، «الراحمون يرحمهم الرحمن»، عندما ترحم الحيوانات تكون لك

أخلاق معها، وصفات معها، من هنا مجموع الحضارة الذي تتشكل به الأمة، من مجتمعها ومجتمعاتها المتعددة ومن لبناتها الصغيرة من الفرد والأسر والأخوة في الله والعلاقات إنما مبعثها الأخلاق.

وفي كل تصرف تمشي به في هذه الحياة ذهبت تشتري، ذهبت ماشيا،كيف تمشي؟ تصور أنك حين تمشي، تحتاج إلى أخلاق وأنت تمشي، إلى أخلاق تضبط سلوكك، وتضبط معارفك، هنا لابد أن نذكر، هذا الخير العظيم الذي يلقيه الإسلام بهذا المعنى الذي ذكرته لك لا يوجد إلا في الإسلام، لا يوجد دين غير الإسلام الذي جعله الأنبياء ثم ختم بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يوجد من يعظم الاخلاق بهذا التعظيم، لا يوجد، هذه مزية خلق الإسلام بأن كلمة التوحيد كشجرة طيبة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، كيف تتحدث مع والدك، كيف تأكل كيف تشرب، كل هذا خلق، كيف تتعامل إذا بعت إذا اشتريت، «رحم الله عبدًا سمحًا إذا با ع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا اقتضى».

من هنا الحديث عن الأخلاق، هو حديث عن الحياة، حتى وأنت تكتب، الآن نتحدث عن رجل مفكر، كيف يكتب، أيصدق الناس فيما يكتب أم يكذب عليهم، أم يصدق، عندما يتكلم في الفقه أيصدق الناس في إبلاغهم ما قاله الله وقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم أم يكذب عليهم.

والصدق والكذب خلقان، متضادان، أحدهما حسن حسنه الشارع، وتحبه الفطرة ويقربه العقل وهناك خلق يقبحه الشرع ويقبحه العقل وتنفر منه الفطرة، ولذلك هنا لابد أن نفهم، أن حديثنا عن الأخلاق، هو حديث الاستمرار

في الحياة، وحديث استمرار المجتمعات وأبنيتها.

رأينا في قصة الملك الذي غزا القرية أن المجتمع انهار، الأخلاق، من هنا كانت الأخلاق، كانت الأخلاق سببًا لبناء الدول ودوامها، وكان ذهاب الأخلاق الحسنة وحضور الأخلاق السيئة سببًا في دمار الأمم، وهكلتها، لا تصمد الأمم.

الأمم أيها الإخوة الأحبة في حالة صراع دائم، لا يوجد أمة ساكنة، لا يوجد، السكون ممنوع في داخل المجتمعات، كما أنه ممنوع في كل شيء في الدنيا، الفيزياء المعاصرة تقول، لا يوجد شيء ثابت من الكونيات، لا يوجد، حتى الذرة في حالة حركة دائمة، لا يوجد فيها ما هو ساكن، كذلك المجتمعات هذا الشيء الصغير طبقه على الكبير، لا يوجد مجتمعات بلا فتنة، لا يوجد واحد يبقى مدى الحياة وهو يسيطر على الحياة كلها، ويستقر له الأمر، هذا أمر الثبات والدوام متعلقة بواحد، صفة لواحد وهو الله عز وجل، وأما خلقه فهم متغيرون، في كل وقت وفي كل حين، وفي كل وقت في بلاء، كذلك المجتمعات في حالة بلاء، وتقوى هذه الأمم في صد عادية البلاء، من خلال الأخلاق، وتصبح هشّة وسريعة الكسر إذا ضعفت فيها الأخلاق، لبنة في داخلها ضعفت.

ونحن نرى أن الحاكم عندما يطبق أمر الله، يطبق الصدق والأمانة والعدل، هو إنما يطبق أخلاقًا، وكذلك المجتمع عند يعامل مع بعضه إنما يطبق أخلاقًا، ومن هنا تأتي قيمة الأخلاق في بناء الإنسان، بناء الإنسان الواحد.

القضية لا تتعلق بأمر وعظي بل يتعلق بأمر كوني يجب أن نهتم به، وهنا

نأتي لقضية ربما عرّضت عليها تعريضًا لكن لابد أن نأتي إليها تمام الحديث، وهي قضية إيجاد البيئات الملائمة لبناء الأخلاق، إيجاد، يجب علينا أن نهتم ليس فقط أن نقدم الوعظ فقط، ولا أن نقدم النماذج ولكن كذلك نصنع البيئة التي إذا دخلها المرء ووُجد فيها، لو كان فاسدًا انصهر بداخلها انصهار الصلاح والتقوى. كما أننا إذا وجدنا صالحا، دخل بيئة فاسدة قوية في فسادها، انصهر فصار فاسدًا، هذه قضية مهمة جدًا، هناك ظروف بيئية، تتعلق بأحوال الناس، تنشئ أخلاقًا حسنة، وهناك ظروف بيئية تنشأ في الناس تُنشئ بيئة سيئة وأخلاقًا سيئة.

أعظم الأخلاق

لكن هناك أخلاق، تعتبر من أهم الأخلاق، إذا وُجدت سهل بقية الأخلاق، سهل حضورها وسهل تحصيلها، وإذا فسدت هذه الأخلاق، القواعد، فسدت بقية الأخلاق، أنا أعتقد بأن أسس الأخلاق تعود إلى أربعة أخلاق.

أذكرها: الصدق، الأمانة، الشجاعة، الكرم. هذه أساس الأخلاق، وأساس الأربعة خلقان، الصدق والأمانة، الصادق الأمين، وأساس كل هذا هو الصدق.

الصدق١

وأنـه هـو ركن الأخلاق وأهم الأخلاق، والأخلاق كلهـا منبعثـة منـه، وقائمـة عليـه. وهـذا الكلام وجدتـه لشـيخ الإسـلام ابن القيم ولشـيخه شـيخ الإسـلام ابن تيمية، فأحب أن أقرأ عليكم ألفاظهما، لتروا أهمية هذا الخلق، ابن القيم بلا شك ستجدون كلامه في مدارج السالكين في منزلة الصدق.

انظروا إلى كلام ابن القيم رحمه الله في هذا الباب، يقول: "الصدق منزل القوم الأعظم الذي منه تنشأ جميع أعمال السالكين، والطريق الأقوم الذي لم يسر عليه فهـو من المنقطعين الهـالكين". الصـدق، وهـو يقـول بعـد ذلـك، "هـو روح الأعمال"، سرها، جوهرها، أصلها، منبتها، "هو روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون". والحامل على اقتحام الأهوال!

الصـديقية كمـا يقـول القرطـبي: هي موافقـة أقـوال المـرء لأفعالـه، في هـذه كحالـة ذاتيـة وحالـة شخصـية، وأمـا في عظمهـا فهي: موافقـة أقـوال المـرء لكـل الحقائق، أن تكون أقواله موافقة للحقائق، الصدق يطلق كذلك على العمل، لما

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «والفرج يصدق ذلك أو يكذبه، العين تزني وزناها النظر، واليد تزني وزناها اللمس»، و... إلخ. ثم يقول: «والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»، الصدق هو موافقة المرء للحق، في قوله وفعله وفي أحواله وفي سلوكه في جميع أحواله، الصدق هو أن يتوافق الحق مع ما يقابله من أعمال الإنسان، ومن أقوال الإنسان، ومن تصرفات الإنسان، من شهادة الإنسان، وبالتالي هذا الخلق الذي إذا فقد من الأمة فإنه يُفقد الإسلام، يُفقد الدين.

الصدق هو أساس الإيمان، التصديق هو أساس الإيمان، ما معنى التصديق، انتبهوا لهذه النقطة، قد يصدق الأنبياء، ما معانه، أي أن يصدق هو، أن يصدق في كل شيء، أن يصدق هو في تصديق الصادق، أن يصدق هو، لأنه لو قال للصادق أنت كاذب، فهو الذي يكذب، فحين يصدق الرجل في أن ينسب الصدق لصاحبه، هذا هو الذي جاء بالصدق وصدق به.

فالتصديق مبناه على الصدق وهو مستخرج منه مادة ومعنى، يستخرج من الصدق أي الصديقية مادة ومعنى، فإذن درجة الصديقية وهي أعظم درجات الشريعة بعد الأنبياء، إنما نشأت بالصدق، ويكون الصدق عظيمًا بحسب أهميته، ولذلك ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، قال: «منهم ملك كذاب».

لماذا جعل الملك الكذاب، لماذا جعل خصوصية في عذاب الملك إذا كذب، لماذا؟ لأن كذبه أعظم من كذب غيره، فلذلك الصدق تصبح مرتبته عظيمة، بحسب الموقف الذي هو فيه، بحسب موقف صاحبه، وما يؤدي إليه من

أحوال وما يؤدي إليه من نتائج.

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ليس كذب أحدكم علي ككذب أحدكم على غيره أو على أخيه، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «من كذب علي متعمدا، فليتبوأ مقعده من النار». واختلف أهل العلم في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكفر صاحبها أم لا يكفر، ورجح كثير من أهل العلم أنه يكفر، لماذا؟ لأن الكذب على الله سبحانه وتعالى هو تشريع، بمعنى أنه يصنع دينا لم يقله الله، وأساس الشرك كله هو الكذب على الله ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

فيقول أهل العلم بأن الشارع في هذه الآية من سورة الأعراف رتب الله المعاصي ترتيبًا من الأدنى إلى الأعلى. حرم الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، والإثم والبغي بغير الحق، وأن تشركوا، جعل الشرك والشرك أعظم، ثم جعل بعد الشرك وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون، الكذب على الله، فلذلك الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم تشريع كأنه يقول هذا دين جاء به الرسول ولم يقل به الرسول.

الملك حين يكذب إنما يؤدي إلى فساد عظيم، والفساد في أمته، يخونهم خيانة عظيمة، خيانة الرجل الذي يحمل مئة دينار ليست كرجل يحمل شريعة الله، وليس كرجل يريد أن يقيم العدل في الناس، ولذلك هذا الملك الذي يكذب، ثلاثة الذين لا يكلمهم الله.

الأمير، الوالد في البيت، جريمة الأب حين يكذب ليس كجريمة الابن، جريمة الأم حين تكذب في بيتها ليست كجريمة ابنها، وليس كجريمة ابنتها، كذب الرجل حين يعلم الناس، حين يجلس أمامهم، المفتي حين يكذب، إن بعض أهل العلم سمى كذب المفتي كفرًا وردة، كما قال ابن تيمية، والمفتي حين يفتي للحاكم كل ما يريد من حق وباطل، يكفر ويخرج فقد ارتد، لماذا؟ لأنه يكذب على الله، وينسب إلى الله عز وجل ما لا يرده، ولا يحبه، ويزعم أن الله يحب ذلك وهو لا يحبه بل يبغضه، ويفسر للناس أنهم على حق وهم على باطل، أو يقل لهم أنهم على باطل وهم على حق، ولذلك ينبغي أن نهتم بهذا العضو الذي يتكلم، هذا الخلق، الذي هو مدخلنا إلى الله عز وجل، لا يتصور أن يكون العبد عبدًا لله وهو يكذب، لا يتصور أن يكون الرجل عالما وهو يكذب، لا يتصور أن يكون أبًا عظيمًا وهو يكذب، هذا خلق يجب أن نهتم به، وأن نقيمه في حياتنا، وأن نضبط سلوكنا فيما نقول ونفعل.

الصدق ٢

وما زلنا مع خلق الصدق، لأن هذا إذا تحرر علمًا وحضورًا في أذهاننا، ثم بعد ذلك سلوكًا في حياتنا، تغيرت حياتنا كلها، تغيرت الحياة، وما نرى هذا الفساد المنتشر إلا بالكذب، الكذب في وسائل الإعلام، الكذب في مجالس الناس وأحاديثهم، الكذب في بيوعهم وشرائهم، الكذب في تربيتهم لأبنائهم، الكذب في تعاملهم فيما بينهم، الأصدقاء والإخوان، كذب الزوج على الزوجة، والزوجة على الزوج، الحقيقة أن أعظم ما يفرقنا ويبعد عنا رحمة الله عز وجل بيننا وبين الرحمة الذي يصنع هو الكذب.

ولو كان الكذب له رائحة بين الناس لكره الناس بعضهم بعضًا، ولم يجالس أحدهم الآخر، فيتبغي أن نهتم بهذا ونعرف قيمة الصدق في المواقف، الصدق في الكلمات، الصدق في الأحوال، الصدق في التصرف، انظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم من سأل الشهادة بصدق، بصدق، إذن ينبغي أن يقولها وهو صادق، يعني أن يسألها بلسانه وهذا اللسان شاهد على أن هذا المعنى من طلبها في قلبه، انظر هذه الموافقة، «من سأل الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء

وإن مات على فراشه»، انظر إلى عظمة هذا الموقف، إلى أن الصدق يبلغ المرء المراتب والأحوال التي لا يستطيع أن يصلها بقوته وقدرته.

عندما الله سبحانه وتعالى مدح عمل الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه في سورة الإسراء وكثير من أهل العلم وقد بينت هذا في شرح سورة الإسراء، أنها دالة على قضية الهجرة، ثم العودة إلى مكة فاتحًا، ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾.

انظر الموقف، صدق الموقف هنا، رب أدخلني مدخل صدق، وأخرجني مخرج صدق، فهذا صدق الموقف في الحياة، أنه إذا دخل مكة دخلها وهو صادق، ينفذ موعود الله سبحانه وتعالى، ويحقق النصر لصادقه وللمؤمنين، وكذلك إذا خرج منها، خرج وهو على طريق الصدق ليقيم دين الإسلام ويقيم دولة الإسلام، ويقيم مدينة الإسلام، في المدينة، فموقف صدق هذا، ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ والله عز وجل نسب الصدق لنفسه ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ وقوله سبحانه وتعالى ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ هاتان الآيتان ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ في سورة واحدة وهي سورة النساء.

الله عز وجل نسب الصدق لنفسه لأنه يقول الحق سبحانه وتعالى، ويشرع الحق، ويعدل بين الناس بالحق، وكذلك الأنبياء، مدح الله عز وجل الأنبياء، مدح الله عز وجل إبراهيم صديقًا نبيًا، وكيف مدح الله عز وجل إسماعيل، أنه صادق الوعد، وكيف مدح إدريس، وقال سبحانه وتعالى، يوم القيامة ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.

انظر، أنه قد جاء الحق، فكان هو الصدق الذي قالوه، هذا ما وعد الرحمن أي أن يدخل عبيده المؤمنين الجنة، وصدق المرسلون في تبليغهم أن هناك جنة يدخلها المؤمنون، وقوله سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم في سورة الشعراء ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾.

انظر ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ﴾، أي لسان مدح، ولكنه مدح حقيقي، يقال فيه ما وقع من إبراهيم على الحقيقة، لأنه أسلم لله عز وجل ولأنه ضحى، ووفى، وقال كلمات، وأوفى بها، فدعا الله سبحانه وتعالى أن يكون له لسان صدق، في الآخرين، أي أن الآخرين من البشرية، تمدحه بما فيه من حق، وتمدحه ما فيه من خصال طيبة، والله عز وجل، انظر هذا تكرر في سورة يوسف، ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ الله أكبر!

عندما تكون خصلة المرء هي الصديقية، يُمدح هذا النبي بأنه صديق ولم يقل كلمة بلا صدق، بل قال الصدق عليه السلام، ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ﴾ فيقولون له ويسألونه بهذه الصفة التي تميّز بها. «وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا» انتبه، صديقًا، أي أنه دائم الصدق، ويقول الصدق في كل المواقف، فهذه مرتبة عظيمة، يجب علينا أن نهتم بها، وأن نبتعد عما يضادها من كذب، قال صلى الله عليه وسلم: «الصدق طمأنينة»، الله أكبر.

ماذا يصنع الصدق، قال: «الصدق طمأنينة»، ما قال طمأنينة للقائل فقط، ولا طمأنينة للسامع فقط، ولا طمأنينة للمجتمع فقط، طمأنينة، ولم يقل طمأنينة

فقط في الدنيا، وليست في الآخرة، وليس طمأنينة في الآخرة وليس في الدنيا، وليس طمأنينة مقيّدة بقيد مهما كان، بل هو الصدق طمأنينة، يصنع الطمأنينة في المجتمع، أنت تأمل أنه لو كان الصدق، الرجل عندما يأتي ويخبر إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا، والناس يصدقون، جاء الصادق، يطمئن القاضي، جاء الرجل قال كلمة الصدق في حق نفسه وفي حق أخيه، القاضي يطمئن، يُخرج حكمه وهو مرتاح، الآن المفتي عندما يأتي إليه السائل في زماننا هذا، تكون المشقة عظيمة في تحرير ماذا يقول من صدق، ماذا يقول من كذب، يتعب كيف الكذب وكيف يفرز الصدق، كيف يميّز بين هذا وهذا، فتكون الريبة، يكون الشك. في ما تصور وفيما نطق وفيما حكم، ولكن الصدق يصنع الطمأنينة.

هذا الخلق العظيم، علينا أن نهتم به في تربيتنا لأبنائنا، الأبناء أمر مهم، يلاحظون حركة عيوننا، وتصرفاتنا فإذا سئل والدهم عن أمر هم يعلمونه فإنهم يعرضون ما يقوله الأب عما يعلمونه، وبالتالي ينعكس هذا على الأبناء، يعني هذا الخلق، أنا أعجب، لتنكب المسلمين عنه، ولا يظنن أحد أن هذا الخلق موجود عند الكفار، للأسف يزعمون هذا، الخلق تكلمنا في اللقاءات الأولى، بأن خلقهم مبني على المصلحة، فيما هو فيه مصلحة، إذا لم توجد المصلحة، كان الكذب، وهم أئمة الكذب، هم أبناء الشياطين، هم أبناء إبليس، فالكذب عندهم كثير جدًا، وللأسف أخذناه وجعلناه دينًا، وخاصة ما يتعلق في الحياة الاجتماعية، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرحمنا، وأن يغفر لنا، وجزاكم الله خيرا وبارك الله فيكم.

الصدق ٣

ذكرنا كلمة ابن القيم والآن نذكر كلمة ابن تيمية رحمه الله حين يقول عليه رحمة الله عن الصدق: "هو أساس الحسنات وجماعها، والكذب أساس السيئات ونظامها". هذه كلمة مهدية من إمام عظيم، وعائشة رضي الله عنها تقول عن النبي صلى الله عليه وسلم: «كان أبغض الخلق إليه الكذب»، ويقول صلى الله عليه وسلم: «أحب الحديث إلى الله أصدقه». الله أكبر ! لأنه كل حديث يجانب الصدق فهو مرذول ومبعد ولا يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يحبه الله ولا يحبه المؤمنون. وهنا لابد من النظر إلى ما يضاد الصدق. لابد أن نهتم بهذه القضية كثيرًا ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث».

انتبهوا الصدق يقابله الكذب والكذب هو أمر صريح فقد يكذب الرجل وهو يدري أنه يكذب وهذه هي الجريمة العظمى التي تكبه على النار على وجهه في النار وعلى منخريه في جهنم كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث معاذ، وإما أن يكون الرجل يحدث وهو شاك وهذا هو الظن، ما هو الظن؟ هو ميل القول

إلى النفي.

أن يتصور أن هذا الرجل لا يأتي منه الخير. فيبدأ ما يسمى من الظن هذا يبدأ يحلل المواقف على غير صحتها وعلى غير صوابها. هذا هو ظن. ولذلك سماه النبي أكذب الحديث. إياك أن تظن، إياك أن تتوهم، إياك أن يأتي في قلبك شيء من الوهم بأنك إذا أخبرت شيئا يقارب الصدق أنك عفيت من المساءلة والعذاب وجهنم. إياك. بل مجرد أن تقول قولًا لست جازمًا به و إذا أخبرت عن شيء تشك به مع غلبة ظنك أنه الحق، فتخبر المقابل، تقول أظن هذا، فإذا جزمت شيئًا جزمت به على مثل ما يُشهد به في الشمس في رابعة السماء، أن تشهد فهذا الذي يجوز لك أن تتحدث به.

طيب قد يسأل سائل لماذا هو أكذب الحديث، والكذب يكون صريحًا في نفيه للحقيقة.لأن الناس يميلون إليه فيكثرون منه. لأنه إذا فتح هذا الباب وهذا هو الواقع فإن الناس يكثرون منه، يأتون به على كل وجه، ويصنعونه في كل حال، وهذا أغلب حياة البشر، يمر فيرى رجلا واقفًا مع امرأة، فيبدأ هناك الزيادة ويقول رأيت فلانا يقف مع امرأة، هذه هي الحقيقة، انظر بعد ذلك كيف يصاغ حول هذه النقطة، حول هذه الذرة من الموقف، كيف تصاغ الأكاذيب، فإن الظن أكذب الحديث، ما يزاد عليها بعد ذلك هو الكذب. و إما أن يكون الكذب مقصودًا بأنه يكذب، و إما أن يكون قائلا بغير بيّنة وبغير دليل فهو كذب، فناقل الكذب كذاب في ديننا، وهو أحد الكاذبين كما في الحديث، الذي ينقل الكلام وهو يعلم أنه كذب فإنه يحدث نفس الأثر الذي يحدثه الكذاب الأول، فيجب

إماتته بل رده والطعن فيه وبيان فساده.

إذا لماذا الظن أكذب الحديث؟ لأنه أغلب ما يبنى عليه الكذب ولأنه ينتشر بين الناس ويتسمحون به فكان لابد من قطع عاقبته وقطع أصله بقوله بإنه أكذب الحديث، فإن الظن أكذب الحديث.

فالذي يحدث أن الناس يجلسون مجلسًا فيتحدث فرجل سمع شيئًا على الحقيقة واليقين فهذا يخبر به. رجل يظن أن فلان يقول هذا، أنه وقف هذا الموقف، فيجب عليه أن يتبين، إن كان في ذلك أهمية، رجل واقف مع امرأة ما الذي يدخلك في الأمر، لماذا تدخل في مسائل لست مسئولا عنها عند الله عز وجل، ولست مسؤولا عنها في الخلق، فلماذا تهتم، لماذا تتعقب، لأنك إذا تعقبت وقعت في شر عظيم، وهذا التعقب فإن الله عز وجل يتعقبك، من تتبع عورات الناس تتبع الله عز وجل عورته حتى يدخله النار.

فالناس يجلسون إما أن يتحدثون باحاديث لا أولها ولا آخر من الصدق. وإما يتحدثون بشيء من الصدق يسير ويبنون عليه. وهذا يترتب عليه إسقاط الرجال وفساد التصور فيهم. خاصة إذا نسب إلى عالم أو نسب إلى داعي أو نسب إلى مجاهد. يجلسون يحللون حتى يعظم هذا التحاليل فيصبح حقيقة لا تستطيع أن تناقش بها.

الصدق ٤

ولا يستكثرن أحد الحديث عن الصدق لأن الناس للأسف تركوا ما هو مهم وتركوا القواعد وذهبوا إلى الفروع كما بيّنت في أول اللقاءات أن الحديث عن الأخلاق هي بناء القواعد الأسس التي يقوم عليها الإسلام. وإنما ينبغي أن نذكر به أنفسنا في كل يوم في كل لحظة لأهميته. أولا لأهميته في دين الله فقد رأينا أنه قاعدة الإسلام. أن الصدق هو قاعدة الإسلام. وثم ثانيًا وهذا للأسف نقوله صادقين مع أنفسنا لانتشار الكذب ولقلة الصدق وقلة الصدق في الحديث والمواقف في الناس في كل الاتجاهات، وخاصة ما يتعلق بالدعاة، ما يتعلق بالمفكرين، ما يتعلق بالعلماء، ما يتعلق بالمجاهدين، ما يتعلق بالإعلام، ما يتعلق بالملوك والرؤساء.

الكذب اليوم هو البضاعة الرائجة وهو الذي يسيطر على حياة الناس في مواقفهم تجاه بعضهم البعض، في مواقفهم اتجاه مؤسسات ما أو دول ما أو قادة ما، الكذب اليوم للأسف هو فن، أول ما يبنى عليه الإنسان كيف يتعلم فن الكذب، التمثيل، يعني بعض الناس يقول التاريخ الإسلامي والعربي ليس في

المسرح السبب أنه ليس فيه كذب، السبب في غياب المسرح أنه ليس فيه كذب لأن التمثيل كذب، فالعرب يأنفون من هذا، كما قال أبو سفيان رضي الله تعالى عنه، لما كان مشركا، "ولولا أخاف أن تؤثر علي كذبة لكذبت". فكانوا يخافون من أن تؤثر على المرء الكذب وحتى يكتب عند الله كذابًا والخَلْق ينسبونه للكذب، فإذا كذب سقطت عود شخصيته الأخلاقية ومما ينبغي أن نتعلمه في زماننا هذا كيفية تحصين أنفسنا من الكذب، كيف نتوقف عن الكذب، وكيف نربي أنفسنا على عدم السير في هذا الوادي المهلك، كيف نربي وكيف نحصن أنفسنا من أن تطغى علينا اأكاذيب الكذابين.

نحن نرى أن أثر الكذب على الفتوى تصور القصة على غير حقيقتها. المجرم يصبح صالحًا ويصبح السارق مسالما والمسالم والداعي يصبح مجرمًا. الإعلام كيف نحصن أنفسنا من هذا السيل، السيل الهائل، عالم مليء بالملقيات علينا من الأكاذيب. كيف نحصن أنفسنا من هذا. الإنسان بكثرة السهام الكاذبة عليه صار كالخداج يتأثر من أي موقف. وهذا علم ينبغي أن نتعلمه وأن ننشأ له المجاميع والدراسات في كيفية تحصيله. كيف نحصن أنفسنا من الكذب؟ هذه قضية مهمة. وكيف نكتشف الكذب في الكلام. هذا النقد عظيم الذي وجد في تاريخنا لما يسمى بعلم العلل. علم العلل علم خاص بفحول الرجال وعظماء العلماء. والعلماء كتبوا فيه بعد أن بلغوا المنزلة القصوى والعالية في علم الحديث لما هو.

ما هي أهميته أنه يبحث عن دقائق الغلط في حديث الرسول صلى الله

عليه وسلم. عن دقائق الغلط في حديث الرجال وفي أحاديثهم وفي أسانيدهم عن دقائق في داخل المتن وداخل السند. فإذًا اكتشاف الكذب هو فن عظيم ومرتبة عالية. كيف تنقد الخبر الذي يأتي إليك؟ كيف؟ ولا تنساق مع هواك إذا جاءك خبر كاذب ضد خصم لك فتقبله. هذا من الشر، وإذا جاءك خبر كاذب أو صادق ضد نفسك وضد غيرك ممن تحب كذبته ورددته، هذا كذلك من الفساد، هذا كذلك من الظن الذي يوقعك في أكذب الحديث.

فعلينا أن نتعلم هذه الفنون العظيمة الربانية في قضية كشف الكذب. ماذا يقول المرء.. وهذا ينبغي.. التحصن بالدعاء والتحصن بالعقل والحضور.. مقارنة الأقوال، عرض القول على حقيقة المنسوب إليه القول، أيقوله أم لا، أتأتي منه هذه القضية أم لا، يعرض الكلام على كثير من الكلمات حتى نعرف ما هو الصدق. كأنك باحث جنائي كما يسمى في هذه الأيام. باحث جنائي. يريد كل شيء أمامه تحت الفرز وتحت الاختبار. لماذا؟ من أجل أن يكتشف الحقيقة. فهذا هذا هو العلم الذي نحتاجه في أيامنا هذه. ختامها الكلام عن حديث الصدق، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

كيفية اكتشاف الكذب

لأن الصدق هو تصديق الصادق وتكذيب الكاذب. الصدق من اراأكانه وقواعده هو أن تصدق الصادق وأن تكذب الكاذب. ألا تصدقه فإذا صدقت الكاذب وقعت في نوعٍ من أنواع الكذب. أنه انطلى عليك هذا الكذب. ولذلك من الفنون التي نبهنا عليها في اللقاء الفائت التي يجب أن نتعلمها هو كيفية اكتشاف الكذب.

أول قضية مهمة جدًا أنه إذا أثر عن المرء كذبا، فيجب اتهامه ولو كذبة واحدة. في دين الله عز وجل، في الحديث لو كذب مرة فيكون كاذبا لا يقبل منه قط. حتى لو تاب فلا يقبل منه بعد التوبة.

فإذا أثر عن المرء الكذب فيجب أن تسقط كلامه ابتداءً، وأن يكون في معرض الرد وعدم القبول قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ والفاسق هنا بمعنى الكاذب الذي يكذب. فإذًا الذي يأتي كاذبًا في قول من المقال فيمتحن يمتحن قوله. لو أن رجلا علم بالكذب فرفع دعوى إلى القاضي فالقاضي مع أنه يميل إلى نفيها لما أثر عن هذا المرء من الكذب فإنه

يختبرها من خلال طلب الأدلة التي إما أن تؤكد هذا الرد وإما أن تخرجها من دائرة الكذب في هذا الباب الذي يتعلق بالحقوق الى دائرة الصدق والقبول. وبالتالي الحكم بها. إذا هذا هو الأمر الأول لكن إذا علمنا أن جهة ما إنما هي تكذب وتكذب حتى تكون كقناة الكذب. أو تكون كشخص كاذب فيما يقول دائما لا يجوز قط أن تأخذ منها قولًا واحدًا.

إذا ما يتعلق باختبارنا لوسائل الإعلام الأصل فيها الكذب، لماذا؟ لأنها أنشئت على هذا المعنى، هذا ليس سرًا مكتومًا، يعلمه الخبراء ويجهله العوام، وسائل الإعلام تنشأ من خلال مؤسسات تدعمها ماليًا، وتقويها، ولذلك هي لابد أن تكون خادمة لهذا الدافع، على قاعدة الذي يدفع هو الذي يضبط اللحن، كما في الكتاب الشهير من يدفع للزمار، فالذي يدفع الثمن، المال، هو الذي يضبط اللحن، هو الذي يطلب اللحن، بمعنى الذي يدفع الثمن هو الذي يطلب نوع الكلام الذي تقوله.

مؤسسات هذه قامت على الكذب، ولأنها مدعومة منهم، فبالتالي يجب أن تفهم أن هذه لا يمكن أن تأتي لك بالصدق، لأن من تمام الصدق كذلك هو أن يأتي المخبر والمحدث أن يأتي بالقضية كاملة، فإذا اجتزأها على معنى ترك الاستثناء، يقول إلا، دون أن يذكر أو يكون في الكلام استثناءً، أو يكون في الكلام اتصالا، فحينئذ يكون الكلم كذبًا. يكون الكلام كذبا. ينسب له ما لا يقول. بالتالي الأصل في هذه الوسائل أنها كاذبة، فلا يجوز لك أن تصدقها، وأنبّه هنا ألف تنبيه ينبغي أن نقوله في كل يوم، لا يجوز لك إذا كان الخبر يؤيد مقالتك

وتعلم أنه كذب، أو من جهة كاذبة، أن تأخذه. وهذا الذي يقع.

والجريدة الفلانية معروفة أنها مدفوعة وأنها مسيّرة ضمن نظام معيّن، وضمن نسق معروف، يقول هذا الرجل خائن، يقول كذا، كم من شخوص علمية أسقطناها، كم من شخوص فاسدة رفعناها، بسبب ماذا؟ بسبب تضخيم الإعلام، ما معنى التضخيم؟ كلمة التضخيم الإعلامي كلمة محسّنة. يستخدمون كلمات أنا لا أكذب كقاعدتهم في الدجل، أنا لا أكذب ولكن أتجمل، انظر كيف صار يتجمل، لا يكذب، قال التضخيم الإعلامي، ما معنى التضخيم الإعلامي؟ الكذب، ما معنى الستر الإعلامي، الكذب.

فهذا الأمر ينبغي أن نهتم له، وأن لا نبقى يمكن أن يصدق، هذه يجب علينا أن ننهيها من أنفسنا، يمكن أن صدق هذه المرة، هذه المرة يمكن أن يصدق، كم مرة لدغنا، وكم مرة قتلنا، وماتت الأمة ودمرت بسبب هذه المقالة. لنصدقه هذه المرة، لنمشي معه هذه المرة. لنسر معه هذه المرة، وانتهت القضايا إلى جرائم، إلى مصيبة جديدة بمجرد استخدام العاطفة والتثوير واسباغ أنه تاب وبكى وأخرج الكلمات على طريقة حزينة مبكية نتبعه ونمشي وراءه.

فإذًا الاصل في هؤلاء أنهم لا يجوز لنا... ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال من أجل هذا: «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين». ما معنى ذلك؟ أنه إذا كذبه مرة فإياك أن تضع مرة ثانية. المؤمن لا يفعل ذلك لا يلدغ المؤمن. المؤمن ليس فقط قضية أنه يصدق ما جاء بالحق، ولكن كذلك يكذب ما جاء بالباطل. لابد من أن نفهم هذا. لابد أن نفهم أن الصدق هو تصديق الصادق وأن

الصدق هو عدم تصديق الكاذب.

هذا من الدين وليست قضية متعة فكرية ولا هي تألق فكري ولا هي تألق موقف. لا. هذا من الدين الذي يجب أن نفهمه ونعلمه لأنفسنا ولذلك هذه الوسائل الإعلامية الأصل فيها أن لا نأخذها. لكن كيفية اكتشاف الكذب وهذا من الهجوم أن نأتي إلى الكهنة أن نبينه. أن يأتي الكذب فنبين كذبه وأن نكشفه. هذا كذلك علم من العلوم يجب أن نفهمه. يعني استخدام التاريخ. العلماء...كشفنا كذب الكذابين بالتاريخ. يقول أنس جلست مع فلان وفلان هذا يكون قد مات قبل أن يلد هذا أو وهو صغير لا يحسن الجلوس ولا الفهم معه. فالتاريخ هو الذي كشف كذبه. فلذلك التاريخ هو وسيلة لكشف الكذب.

معرفة الشخص وانتماءاته من أين هو؟ أين هو ؟ معرفة تقواه وصلاحه. هل يمكن أن تصدق رجلا يعني يأتي بكل الفواحش وهو ليس على ملة الإسلام ويكذب على الله بقوله ثالث ثلاثة وينفي وجود الله عز وجل كالملحدين. فكيف تصدقه؟

فذلك لكشف الكذب كذلك طرق أن تكشف هذا الكذب وتبّينه للناس لأن كشف الكذب هو جهاد في سبيل الله. كما أن تصديق الصادق هو دين وإيمان وجهاد في سبيل الله أن تقول اتبعوا المرسلين. هذا جاء بالحق فصدقوه، هذا من الجهاد. وكذلك أن تُنفّر من الكاذب. هذا من الجهاد.

لذلك يجب علينا أن نهتم نحن نحن المسلمين علينا أن نهتم بتعليم الأمة

مصادر الفساد من أين يأتي الفساد؟ من أين يأتي الكذب؟ وكيف هو الكذب؟ وهذا يحتاج إلى جهود عظيمة لأنه للأسف الذي يملك المال اليوم ويملك السلطة التي تسمح بالكلام. يعني فرعون مع إجرامه الذي حدث عنه القرآن إلا أن فرعون لا يساوي شيئا من فراعنة اليوم. فرعون قبل من موسى أن يتحداه على الملأ والعلن. وقوم إبراهيم قالوا فاتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون. بمعنى أنهم سمحوا للعامة أن يسمعوا. سمحوا لهم أن يخرج موسى مناظرا للسحرة عليه السلام.

ولكن هل يسمحون لك أن تجلس أنت اليوم جلسة مناظرة معهم. لا يسمحون لك. لا يسمحون. الجريمة أن تتكلم. ولا يسمحون بأن تلتقي لتحدث وأن ترد على اتهامات هم يتهمونك ويضعون العصابة على فمك ليمنعوك من الحديث. هذا هو عدلهم اليوم الذي يزعمونه. انظر إلى وسائل الإعلام. كم محطة فضائية في العالم موجودة اليوم؟ كم فضائية عربية تابعة لأنظمة طاغوتية كاذبة كاذبة كاذبة. انظر إلى اعلام الكفرة إلى اعلامهم الكاذب. يقولون الكثير عن أهل الدين وينشرون الفضائح عنهم الكاذبة والتي تحدث والتي في السر وينبغي أن تستر. لكن مع إجرامهم يأتون إلى فضائحهم فيسترونها ويظهرونها على عجائبها أن هذا انظر إلى كيف يقدمونهم. يقدمون ملوكهم وسلاطينهم ورؤساء جمهورياتهم كيف يقدمونهم. يلبسون ويبتسمون ويتحدثون. وهذا من الجهل الذي نصاب به وننتبه لهذه القضية. هذه من أكبر الجرائم التي نمارسها: لعله يصدق اليوم. لعله يصدق اليوم. هذه كلمة يجب عليك أن نمسحها من قاموسنا. يجب على أن

نمسحها من معجمنا. الذي يعرف عنه الكذب والخيانة هذا ينبذ ولا يقدم ويؤخر كما فعل أبو بكر الصديق مع المرتدين عندما تابوا لم يرجعهم إلى القيادة.

الأمانة ١

والآن نـأتي إلى الخلـق العظيم والـذي هـو صـفة جميـع الأنبيـاء وصـفة الصالحين وهو مما يسحب من الأمة وينزع من الامة مبكرًا كما في الحديث الذي سيأتي ألا وهو خلق الأمانة. والأمانة هي إذا أردت تعريفها هي داخلة في الصدق وهي أداء من ائتمنك أن تؤدي إليه أمانته، وكما يقول القرطبي: "الأمانة تعم جميع وظائف الدين"، بمعنى أن الله أمّنك أن توحده، جعل التوحيد عندك أمانة. فعليك أن تؤديه وأن تقر به وأن تلتزمه. الله عز وجل جعل الصلاة أمانة في عنقك فعليك أن تؤديها وهكذا. فلذاك هذه الكلمة العظيمة من الإمام القرطبي عليه رحمة الله قال: "الأمانـة تعم جميع وظـائف الـدين"، والصـدق عنـدما يضـع الرجـل عنـدك الأمانـة فتؤديهـا ولـذلك قـال الله عـز وجـل ﴿إِنَّـا عَرَضْـنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾.

إذا انتشـرت خيانـة الأمانـة فسـد النـاس. النـاس يحتـاجون إلى إخـوانهم يحتاجون إلى أبنائهم يحتاجون إلى أصدقائهم يحتاجون إلى جيرانهم. الجار مؤمّن على جاره. الإمام مؤمن على صلاة الأمة وراءه. سيد العمل صاحب العمل محمّل

لأمانة أداء الأجرة للأجير. انظروا إلى فساد بعض طلبة العلم يأخذون الكتاب من مكتبة فلا يؤدونها ولا يرجعونها يسرقونها. ويستبيحون ذلك ويرونه الجواز والشيطان يمثل لهم كثيرا من الرخص التي يترخصون بها. صاحب البيع التاجر يأتي إليه يريد أن يشتري منه شيئًا معينًا فيغشه. يخون أمانة الله عز وجل التي حملها إياها.

فلذلك الأمانة تدخل في كل حياة البشر. الله عز وجل عندما رزقك هذا الولد فما هي الأمانة التي حملك الله إياها في أن تربيه بأن تحسن اسمه بأن تحسن دينه بأن تحفظه كتاب الله عز وجل. بأن تعلمه سنة النبي صلى الله عليه وسلم. ولذلك في الحديث عن حديث حذيفة رضي الله تعالى عنه أنه ذكر أنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين. أما حديث فقد وقع وأما حديث فينتظره: هذا حديث جليل عظيم حديث ينبغي أن نهتم به وأن نشرحه ونضعه في أمام أعيننا في كل حال. انظر إلى هذا الحديث: «أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ». إذا الأمانة هي وعاء الحق. هناك أخلاق بذاتها طيبة وهناك أخلاق ووعاء لأمور عظيمة أخرى وهناك أخلاق تجمع الأمرين. الأمانة تجمع الأمرين في ذاتها هي خلق عظيم وخصلة جليلة عند الله سبحانه وتعالى وهي كذلك وعاء للدين كله الدين كله موضوع في أمانة. وهذا الحديث يدل عليه. قال: «أنَّ الأمَانة نَزَلَت في جَذر قُلُوب الرِّجال، ثمَّ نزل القرآن»، الله أكبر.

إذًا القرآن إذا نزل على الخائنين، إذا نزل على الناقضين للعهود، لا ينفع، لا ينفعهم، يفسدونه بالمعاني، يفسدونه بالتأويل، يفسدونه بالقول عليه، يفسدونه بالكذب على الله عز وجل. يفسدونه، وبالتالي القرآن نزل على قلوب أمينة، وعلى

نفوس مهيأة له تحمله بحق لأنه إذا نزل لم يحملوه، حمّلوا التوراة ثم لم يحملوها، كما في الآية ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾. الذي ينزل القرآن على قلبه وهو لا يفقهه ولا يعمل به، هذا خائن لهذه الأمانة.

«أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ. ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ. فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ... وتنزع الأمانة»، الآن جاء عصر آخر وعهد آخر، للأسف نحن نعيشه، «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّومَة فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ». انظروا بين المقارنة في هذا الحديث في نزع الأمانة وبين حديث: «لا ينزع العلم انتزاعًا»، المفارقة بينهما، المفارقة بينهما مهمة، أما العلم فلا ينزع من القلوب، وإنما ينزع بموت العلماء، فيبقى الجهال، لا يرثون منهم، وهذا حديث عظيم، دلالة على أن الآن الناس لا يجلسون إلى العلماء، فإذا فسد الناس لا يجلسون للعلماء، أو أن العلماء منعوا من الجلوس من الناس، وهذا الذي نعيشه، العلماء يسجنون، العلماء يمنعون من اللقاء بالناس، فالناس ينتشر فيهم الجهل، فينزع الله العلم بنزع العلماء.

أما هنا، الأمانة تنزع أو من القلب يكون الرجل أمينا، فيصبح غير أمين، هذا لا يكون بلا سبب، بل يكون بسبب البيئة التي يعيشها، فبسرعة يتحول فتعجب، تبيعه اليوم وتشتري منه فهو من أصدق الناس، تتعامل معه فهو من أحسن الناس، في مرة ثانية تتعجب، كيف انقلب وكيف تغير، الحديث يفسر ذلك.

قال: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّومَة فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثلَ الوَكْتِ»، الوكت هو أثر الشيء، يعني يبقى فيه أثر، شيء من الأمانة، وأما الأمانة في أصلها

وقوتها فقد ذهبت، «ثُمَّ يَنَامُ النَّومَةَ فَتُقبَض الأَمَانَة مِن قَلْبِه، فَيَظَلُّ أَثَرُها مِثل أَثَر المَجْلِ»، وما هو الوجل، يفسره الحديث، قال: «كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلى رِجْلِكَ فَنَفِطَ»، قال: «فَتَرَاهُ مُنْتَبِراً وَلَيس فِيه شَيء». انظروا يبقى أثر الأمانة، وليس فيه شيء ليس فيه الأمانة، يعني يطلق عليه وصف الأمانة، أنه شيء ظاهر، لكن في حقيقته ليس من الأمانة في شيء، ثم ذكر الحديث أشياء أخرى في صفة من رآهم، لأنه يتحدث عن الحديث الذي رآه، في أنه غيّرت الأمانة، حتى في البيع والشراء، وفي السلطان وفي الملك، وفي غير ذلك، فإذًا الأمانة تنزع من القلوب، فإذا نزعت من القلوب قال "نزلت الأمانة في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن ثم تعلموا القرآن والسنة"، إذًا بنزع الأمانة يذهب علم القرآن والسنة.

الأمانة ٢

كان عليه الصحابة وسمي رجل عظيم من المبشرين بالجنة به وهو أمين هذه الأمة. من هو؟ أبو عبيدة. وسبب هذه التسمية أن وفد نجران جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يرسل إليهم رجلا أمينا. فقال لهم: «حق أمين»، «سأرسل إليكم رجلا أمينا حق أمين حق أمين» فاستشرف الناس إليهم ولكن لما أرسل أرسل أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله تعالى عنه فسمي أمين هذه الأمة. تصور هذا المقام الجليل الذي بلغه بأمانته. أمين هذه الأمة. وأنت إذا نظرت هنا نأتي إلى قضية مهمة. إذا نظرت إليه رضي الله تعالى عنه فهو بلّغ الحديث القليل وكان قائدا من جيوش المسلمين وقال الفاروق عنه رضي الله عنه لأنه مات في زمانه. أبو عبيدة مات في طاعون عمواس. وفي الشام. فقال لو كان أبو عبيدة حيا لوليته. وهو من المبشرين بالجنة. فانظر إلى الأمانة حتى في الحديث الذي ذكرناه في اللقاء الفائت وهو حديث حذيفة قال: «فَيَصبَح النَّاس يَتَبَايَعُون، فَلاَ يَكَاد أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ حَتَّى يُقَال: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَن رَجُلاً أَمِيناً». يقال لك في بني فلان رجل أمين. بمعنى تقل الأمانة. فهنيئا للإنسان الذي يتمثل بهذا الخلق ويتصف به ويحياه مؤديًا أمانة الله، مؤديًا أمانة بيته مؤديًا أمانة رسوله صلى الله عليه وسلم مؤديًا

أمانة إخوانه في العقود وغيرها.[1]

والناس يتحدثون في زماننا عن الأمن والأمان، ويظنون أن الأمن والأمان، إنما ينتج بالسلاح والقوة، ولذلك يمدحون مسالحة الشر والطواغيت لأنهم يحفظون الأمن والأمان، مع أن الأمن والأمان في هذه الصورة في غياب شرع الله، إنما هو الفجور والسرقة ولا يوجد أمان، ولذلك تجد في مثل هذه البلاد التي تدّعي هذه الصفة وتشير إليها وتفتخر بها على حقيقة الأمر، وهو ليس كذلك، بل فيه السرقة، فيه خيانة العهود، فيه خيانة المقامات والوظائف والرتب، خيانة، السرقة، ما أن يؤمن الرجل على قرش حتى تبحث عنه فلا تجده ما أن يؤمّن رجلا يدخل على بيته، إذا دخل الرجل بيت رجل حتى يخونه في أهله وفي بيته وفي ماله. وذاك بما يحصل الأمن والأمان.

والمؤمن من أمّنه المسلمون على أهلهم وعلى أولادهم وأموالهم فلذلك يحصل الأمان بماذا؟ يحصل الأمان بالأمانة. أن يؤدي كل واحد الحق الذي عليه.

١عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال: حَدَثَنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حدِيثَين قَد رَأَيتُ أَحَدَهُما وأنا أنتظر الآخر: حدثنا أنَّ الأمَانة نَزَلَت في جَذر قُلُوب الرِّجال، ثمَّ نزل القرآن فَعَلِموا مِن القرآن، وعَلِمُوا مِن السُنَّة، ثمَّ حدَّثنا عن رفع الأمانة، فقال: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّومَة فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثلَ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّومَةَ فَتُقبَض الأَمَانَة مِن قَلْبِه، فَيَظَلُّ أَثَرُها مِثل أَثَر المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِراً وَلَيس فِيه شَيء»، ثم أَخَذ حَصَاةً فَدَحْرَجَه على رجله «فَيَصبَح النَّاس يَتَبَايَعُون، فَلاَ يَكَاد أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ حَتَّى يُقَال: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَن رَجُلاً أَمِيناً، حَتَّى يُقَال للرَّجُل: مَا أَجْلَدَهُ! مَا أَظْرَفَه! مَا أَعْقَلَه! وَمَا فِي قَلبِه مِثْقَالُ حَبَّة مِن خَرْدَل مِنْ إيمان»، ولَقَد أتى عَلَيَّ زَمَان وما أُبَالي أَيُّكُم بَايعت: لئِن كان مُسلِمًا لَيَرُدَنَّه عَلَيَّ دِينه، وَإِن كان نصرانيا أو يهوديا ليَرُدنَّه عَلَيَّ سَاعِيه، وأَمَّا اليوم فَمَا كُنت أَبَايِعُ مِنكُم إِلاَّ فُلاَنا وفُلاَناً». -الناشر

الحق الذي حمّله من الله وحمّله في الحياة أن يؤديه كما حمله فيكون أمينًا فحينئذ تسلم الأرض المسلم. ولذلك المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمّنه الناس على دمائهم وأموالهم.

ويقول صلى الله عليه وسلم ربطا لما تكلمنا من قضية ارتباط الإيمان بالأمانة، يقول صلى الله عليه وسلم : «لا إيمانا من لا أمانة له»، وإن كان هذا الحديث يمكن حمله على المعنى التام، أنه من خان أمانة التوحيد فلا إيمان له، من خان أمانة الصلاة فلا إيمان له، يمحق أصل الايمان، ويمكن أن يحمل على المعنى الجزئي، من لا أمانة له لا إيمان له، الناس أمنوه وهذا أداؤه من الإيمان، فإذا ذهبت هذه الأمانة ذهب ما يقابلها من الإيمان.

فالحديث عظيم دال على هذه القضية. ولذلك من الأمانة التي نعيشها ويعيشها الدعاة أن يؤدوا أمان الله بكلمة الحق. حملهم الله حملهم أمانة قول الحق وقول الصدق وأدائها إلى الناس. فيجب أن يقولونها وإلا يجلسوا، يجلسوا في بيوتهم ولا يقولوا الباطل. وكذلك المجاهدون عليهم أن يحملوا الأمانة فيؤدونها كما هي، وعلى القادة أن يحملوا الأمانة فيؤدونها كما هي، ولا يخونونهم فإن الخيانة مؤذنة بعذاب الله مؤذنة بالفساد.

الكرم ١

وقلنا سابقا بأن جميع الأخلاق تعود إلى أربعة أخلاق في الإسلام. وفي واقع الأمر وفي قدر الخلق وأحوالهم. فتكلمنا عن خلقين والآن نتكلم عن خلق الثالث، وهو خلق الكرم، وهما خلق الكرم وخلق الشجاعة يتنازعان السبق، ولكن بلا شك أنه لا تكون الشجاعة إلا مع الكرم وإنما أصل الشجاعة الكرم، بمعنى أن الإنسان شجاع إنما يبذل نفسه والكريم هو سخي وسمح ويبذل نفسه. البذل والسماحة والجود والكرم والسخاء كلها على معنى واحد. كلها متقاربة في المعنى والعلماء يفرقون تفريقا ليس هذا بيانه،. فالقصد بأن الكرم إنما ينتج الشجاعة لأن الشجاعة هي بذل النفس. والكرم هو بذل شيئ لمن يستحقه، يقولون بأن عطاء ما ينبغي لمن ينبغي، الكرم والجود معناه أعطاء ما ينبغي لمن ينبغي.

فأصل الكرم فيهم إنما جاء من الأنبياء. وخاصة من إبراهيم عليه السلام وإسماعيل. فقد استوطن إسماعيل عليه السلام جزيرة العرب كما هو معلوم عندما أتى إبراهيم عليه السلام بابنه إسماعيل وأقامه في واد غير ذي زرع، فأخذ العرب صفة الكرم من إمامهم إبراهيم عليه السلام ومن ابنه إسماعيل عليه السلام فسرى

فيهم هذان الخلقان العظيمان سرى فيهم، وذاك إبراهيم عليه السلام انظروا إلى كرمه الذي يحكيه الله سبحانه وتعالى عنه، ﴿فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ۝ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾.

وانظروا إلى هذه الأخلاق العظيمة التي أتى بها كما يقول علماء التفسير وذكر ذلك ابن القيم رحمه الله قال: فراغ أي ذهب مسرعا، لم يجعلهم ينتظرون ولا سألهم من هم ولا علم من أين جاءوا، ولكن قام بالكرم سريعا، فراغ أي ذهب مسرعا وخفية وإلى أهله فجاء بأطيب الطعام وأكثره، فلو جاء بخروف لكان قليلا لكنه طيب الطعم، ولو جاء ببقرة كبيرة لكانت كثيرة اللحم ولكنها قليل الطيبة، فقال ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ ثم أتى به على صفة أخرى كما في سورة هود أنه عجل حنيذ، بمعنى أنه مشوي أي أطابه خير الطعام وطهاه خير الطهي هذا من إبراهيم عليه السلام وكان يوقد النيران على رؤوس الجبال ليهتدي إليه الضيفان فهو أبو الضيفان عليه السلام.

ومن ذلك أخذ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الصفة خلقا من أبيه إبراهيم وتربية ربانية من الله سبحانه وتعالى والصفة عنده حتى أنه صلى الله عليه وسلم وصف أنه كان جوادا كريما لا يمسك شيئا وكان أجود ما يكون في رمضان كأنه الريح المرسلة لا يمسك شيئا، والنبي صلى الله عليه وسلم قال عن نفسه أنه لو ملك مثل جبل أحد ذهبا لأنفقه في سبيل الله يقول هكذا وهكذا وهكذا، فكان كريما صلى الله عليه وسلم لا يحبس شيئا ومنه أخذت نساؤه هذه الصفة.

عائشة رضي الله تعالى عنها كانت من أكرم الناس لا تحبس شيئا ولو

بالقليل، تتصدق بالقليل وهكذا أوصت أختها أسماء، «لا توكي فيوكي الله عليك» فلذلك هذا الخلق العظيم نحتاجه في زماننا خاصة مع إخواننا ومع أهلينا، البخل جريمة كبيرة وخلق سيء يميت كل الأخلاق. المرء إذا وصف بالكرم وإذا اتصف بالكرم جاءته كل الصفات تذل له وتخضع له وتسير وراءه وإذا جاء البخل، لم يأت معه إلا الخصال السيئة. فلذلك على المرء أن يتعلم هذه الصفة وأن يبذل هذه الصفة وأن يبذل من ماله ومن نفسه ومن عطائه هذا الخلق العظيم من الكرم، هذا خلق يجب أن نتصف به.

وكل صدقة تتصدقها إنما تكون عظيمة عند الله عز وجل وتكون لك في الميزان يوم القيامة. تأمل هذا، تأمل أن الإسلام قام على قاعدتين عظيمتين إحداهما الهجرة في سبيل الله وهي بذل النفس لله عز وجل، وثانيهما النصرة ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ هذه هي الخصال التي رفعت الصحابة الأنصار إلى هذا المقام العظيم، ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ كأنهم سكنوا الديار وسكنوا الإيمان مع الديار، ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾.

إذا إنفقوا الأموال لا يندمون عليها ولا يتأذون من العطاء بل يحبون العطاء ويتقربون إلى الله سبحانه وتعالى فيه ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾، أن يعطون إخوانهم ما يحتاجونه كرما منهم وبذلا منهم

لإخوانهم ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، يعطونهم مع الفقر مع الحاجة ولذلك الصدقة المحبوبة عند الله أن تبذل وأنت صحيح شحيح، معنى صحيح أي عندك المال، شحيح أي تخاف الفقر، أن تبذل المال في هذا الموطن.

هذا أمر عظيم عند الله عز وجل، ولذلك الصحابة رضي الله عنهم ارتفعت درجاتهم بهذا العطاء، أبو بكر قال صلى الله عليه وسلم ما نفعني الله عز وجل بمال كما نفعني أبو بكر رضي الله عنه أو مال أبي بكر رضي الله تعالى عنه، الذي يؤتي ماله يتزكى ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾.

وكان أعظم ما ينفقه من مال على نبينا صلى الله عليه وسلم. وهذا عثمان رضي الله عنه عندما خاطب الثوار، قال ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: «من جهز جيش العسرة فهو في الجنة»، وهو الذي جهز جيش العسرة، ثم قال صلى الله عليه وسلم: «من حفر بئر معونة فله الجنة»، هذه مكرومات عظيمة حصلت لدى الصحابة رضي الله تعالى عنهم بهذا الفضل، ولذلك سبحانه وتعالى يقول ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾. علينا أن نتعلم ولو بالقليل، أن نتعلم العطاء أن نتعلم البذل أن نعلمه لأبنائنا أن نعلمهم كيف ينفقون المال كيف لا يحبسونه، البخل مذمة عظيمة ومفسدة كبيرة جدًا ينبغي أن نتبرأ منها.

الكرم ٢

هذه هي الصفة العظيمة التي ينبغي أن نهتم بها وأن نمارسها في كل يوم في حياتنا لأن هناك ملك يصيح في كل يوم: «اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا»[٢]؛ في كل يوم فلذلك هذا الخلق يجب أن نمارسه في كل يوم عند الطاعات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾.

تأمل أن الصدقة أن العطاء أن الكرم يكون قبل كل طاعة حتى أن بعض العلماء كابن تيمية كان إذا خرج إلى صلاة الجمعة أخذ معه شيئا من البيت حتى ولو كسرة خبز فتصدق بها. وكأن الصدقة تفتح باب الرحمة الإلهية وباب العطاء الإلهي، كأن الجود يفتح باب الكرم الإلهي. إن الله جواد يحب الجود ويحب الجواد كذلك ويحب الكرم. وأقف عند حديثين عظيمين في هذا الباب ينبغي أن نهتم بهما لنرى ما فيهما من فوائد.

يقول صلى الله عليه وسلم: «لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدًا»،

٢مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، وَيَقُولُ الآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا - الناشر

لا يجتمع الشح والإيمان كما رأينا في قضية الكذب أنه لا يجتمع الكذب مع الإيمان كذلك لا يجتمع الشح مع الإيمان. هو حبس المال لا يكون إلا بعدم الثقة بالله عز وجل وعدم محبة الأجر. لماذا الناس يحبسون المال؟ يحبسونه لمحبتهم الشديدة له. فحينئذ يعرض الأمر بين ما يحب الله وما تحب النفس، فيقدم محبة النفس وهذا ضد الإيمان الذي يحبه الله سبحانه وتعالى والمقصود بذلك الإيمان الواجب.

فالبخل إنما يضيع الإيمان الواجب وهو فسق معصية هذا البخل. معصية من المعاصي علينا أن نتمثل أن الاخلاق هي عبادة لله عز وجل. وأن الأخلاق تقربنا إلى الله والأخلاق هي الإيمان. علينا أن نتعلم هذا فقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يجتمع الشح والإيمان»، فكذلك الشح لا يكون إلا... لو تأمل المرء أنه إذا أنفق يُنفق عليه «أنفق ينفق عليك». حين يتيقن العبد على هذه قاعدة الإيمانية العظيمة «أنفق ينفق عليك»، كما قال لأسماء -صلى الله عليه وسلم -: «لا توكي فيوكي الله عليك»[٣]، أي أنفقيه فينفق الله عز وجل عليك. فمن تيقن بهذا أنه بالعطاء يتم العطاء الإلهي له فحينئذ ينفق.

فعدم إنفاقه دليل على أنه لا يثق بهذا الوعد الإلهي. وهذا ضد الإيمان المحبوب عند الله سبحانه وتعالى والإيمان الواجب. فعلينا أن نهتم بهذا أن نفهم أن أبواب الإيمان عظيمة جدا وأن التعامل مع الله سبحانه وتعالى إنما يكون بصفته ملكة نفس تنشأ مع الخلق ثم تنشأ مع الخالق سبحانه وتعالى. وتأمل هذا الحديث

٣يا عائشةُ ! لا تُوكي فيوكَى عليكِ ، أنفِقي يُنفَقْ عليكِ -الناشر

العظيم: «المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم»، هذه المقارنة بين حالة المؤمن وحالة الفاجر، المؤمن غر كريم والمقصود ليس المقصود أنه سفيه وليس المقصود أنه غبي ولكن المقصود بذلك أنه يتغافل أنه يتعامى عن النظر إلى الناس، لا يهتم بتعقب ذنوبهم ولا تعقب أعراضهم ولا التفتيش عليهم، يأخذ الناس بالظاهر وهذا ليس من الغباء.

من هنا أنبه على قضية مهمة أن بعض الناس يقول لابد أن نفتش ولابد أن نعرف الناس هذا حاله له أسبابه في بعض الظروف نعم تفتش كمن يريد أن يتزوج ابنتك. فحينئذ تفتش عنه لأن لا تخدع. تريد رجل أن يتداين منك على الثقة والأمانة فحينئذ تتوثق منه. لكن أنت لماذا تتعقب الناس كل واحد لابد أن تعرفه في حاله. النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إني أريد أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»[٤]، أريد أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر. لا يريد أن يسمع أحوال الناس وهذا هو الغر، التغافل، يعرف الناس ولكن لا يظهر أنه يعرفهم لا يشكف لهم أنه يعرفهم حتى لا يستحوا منه، لا يتأذوا منه، لا يكشف لهم.. هذا معنى الغر، وانظر كريم، يحبس سوء خلقه بقوله غر، يجبس سوء خلقه فيظهر حسن خلقه، والكريم فيظهر محاسن ماله وجيبه.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فالله سبحانه وتعالى يعطي منفقا خلفا، يعطيه ويكرمه، والله ما رأيت سبيلا للرزق أعظم من

٤لا يُبَلِّغُنِي أحدٌ من أصحابي عن أحدٍ شيئًا، فإنِّي أحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سَلِيم الصَّدر -الناشر

سبيل العطاء، أعظم سبيل لتحصيل الرزق هو أن تعطي أن تكرم أن تقدم، والله عز وجل، إنما الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد الفقير، كأنك تعطي ربنا سبحانه وتعالى فيعطيك الأجر مع أنه سبحانه وتعالى غني عن العالمين جل في علاه.

ولذلك الله عز وجل جعل البر جعل البر ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون. البر هو خصلة عظيمة خصلة حسنة يحبها الله عز وجل، ومجموعها في الأبرار، الأتقياء، العباد، لن تنالوا البر أي الحسنى، من الأخلاق والحسنى من الصفات والحسنى من العبادة، حتى تنفقوا مما تحبون، والصحابة رضي الله عنهم، إنما جاهدوا للكرم الذي في قلوبهم وصاروا أنصارا بسبب الكرم الذي في قلوبهم وانتشرت الرحمة التي أنزلت رحمة الله على المدينة، بسبب الكرم، هذه الآية لما نزلت ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

ماذا فعل أبو طلحة الأنصاري، زوج أم سليم رضي الله تعالى عنها، ذهب إلى بيرحاء أحب أمواله إليه فأنفقها ووزعها، هذه الصفة التي ينبغي أن تقوم بين الناس بين الإخوة بين الأحبة، والشيطان يعدكم الفقر، هذا البخل صفة من صفات دعوة الشيطان، يعدكم الفقر، ومن وعده الفقر لم يتيقن على وعد الله عزوجل، فلذلك علينا أن نتعلم هذا الخلق، وأنما الصبر بالتصبر، هكذا الكرم، فهو بالتعلم، أن تتعلم الكرم، أن تنفق أن تعطي، أن تتعلم كيف تبذله، وكلنا وكل الناس يحبون المال، ولذلك قال تعالى حتى تنفقوا ما تحبون، وكل الناس كذلك ينفقونه.

الشجاعة

والشـجاعة لا تحتـاج إلى تعريـف، النـاس لا يحتـاجون إلى أن يعرفـوا الشجاعة فهم يعرفونها، فهو بذل النفس عند الشدة وقوة البأس عند الشدة. قوة النفس، فالشجاعة إذًا كما يقول علماؤنا هي حالة قلبية ملكة نفسية، قد يوافقها قوة البدن وقد لا توافقها قوة البدن. وذكر ابن القيم رحمه الله لما شرح هذا في كتابه الفروسية، ذكر بأن أبا بكر رضي الله عنه ليس أقوى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بدنًا ولكنه أشجعهم نفسًا حتى أن علي رضي الله عنه سأل أصحابه يومًا وهو في الكوفة: من أشجع الناس؟ قالوا: أنت يا أمير المؤمنين، قال: لا ولكن أبا بكر.

لأن أبا بكر رضي الله عنه لما وقف النبي صلى الله عليه وسلم في داخل خيمته في بدر لم يقف أمام الخيمة يدافع عن خيمة النبي صلى الله عليه وسلم إلا أبو بكر رضي الله عنه وانظر إلى قصته في الهجرة كيف أن يمشي في هذا العراء وحيدا مع صاحبه النبي صلى الله عليه وسلم يمشي ويدخل هذه الحجرة يدخل الغار فيفتش بيده حتى يسويه ليكون ملائمًا لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم

هذه شجاعة عظيمة ومن ذلك شجاعته رضي الله تعالى عنه وهو صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وصديقه وهو أخوه وإحدى وزيريه وبل أعظم الوزراء عنده.

هذا الصحابي الصديق عندما ارتدت العرب وصار وضع المدينة مكشوفًا يعني في كل لحظة يخاف الصحابة في المدينة أن يغزوهم العرب وارتدت العرب قاطبة كيف كانت نفسية أبي بكر كيف كان بأس قلبه وشدة جنانه وشدة قلبه وشدة إيمانه وثقته بالله كيف كان؟ تحدى العالم أجمع أرسل جيش أسامة وأرسل الجيوش لتقاتل المرتدين ولم يرافقه أحد بقي وحيدًا لكن ثقته بالله سبحانه وتعالى هذه الشجاعة التي اتصف بها إنما أخذها من النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل أحدًا بيده قط إلا رجلا واحدًا كان يتوعده أن يقتله في مكة فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول له بل أنا قاتلك. لأن أشد الناس عذابا يوم القيامة من قتل نبيا ومن قتله نبي.

لهذا صلى الله عليه وسلم لكنه كان أشجع الناس ولذلك مرة يقول أنس رضي الله تعالى عنه: فزع أهل المدينة لصوت جلبة عظيمة فخرج الناس يركضون إلى مصدر الصوت ليروا ماذا حدث وأي شيء وقع، فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم على فرس عري يعني ليس تحته ما يركب عليه وهو يقول لهم: «لا تراعوا»، ثم مدح الفرس وقال: «إنه لبحر»، وصفه وكان الفرس الذي تحته جرى إلى مصدر

الصوت هو لإبي طلحة الأنصاري رضي الله تعالى عنه. [٥]

فكان إذا اشتد الوغى وحمي الوطيس واحمرت الحدق، التجأ الصحابة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذوها من النبي صلى الله عليه وسلم ولذبك الصحابة هم أشجع الخلق وما انتشر الدين إلا لشجاعتهم. ساروا في الدنيا ثقة بالله عز وجل وخاضوا الحروب وهم قلة قليلة في بدر وفي أحد قلة قليلة أمام الجموع الكثيرة وكذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم كما في القادسية وكما في اليرموك وكما في فتح المدائن الناس الآن لا يعرفون قيمة هذا الخلق العظيم كيف فتح الإسلام بهذا الخلق كيف انتصر الصحابة شجعانا رضي الله تعالى عنهم. ولذلك ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ تصور أن عشرين رجل يقف لمئتي رجل. مئة يقفون لألف. ثم خفف الله عنهم مئة لمئتين وألف لألفين. ومع ذلك العدد يرهب القلوب. ومع ذلك هذا إيمان الصحابة وهذا خلقهم العظيم الذي تمثلوا به فجابهوا العالم.

هذه الشجاعة التي وروثها عن النبوة، ورثوها عن النبوة العظيمة وتعلموها من النبي صلى الله عليه وسلم داعيًا في مكة. الكل يتناوشه ويهدده ليقتله ومع ذلك هو يقوم بدعوة الله عز وجل. العلماء يحتاجون لهذا الخلق. الدعاة يحتاجون لهذا الخلق. المجاهدون واضح أنهم يحتاجون لهذا الخلق. فذاك خلق الشجاعة

٥عن أنس بن مالك t قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعا، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عري في عنقه السيف وهو يقول: ((لم تراعوا، لم تراعوا)) قال: ((وجدناه بحرا أو إنه لبحر)) قال: وكان فرسا يبطأ. متفق عليه. - الناشر

هو خلق كريم محبوب عند الله سبحانه وتعالى. والله عز وجل حين يقول سبحانه وتعالى ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾.

وكما أن الأخلاق جميعا بالتمرن يجب علينا أن نمرن أنفسنا على هذا الخلق. قالوا قديما كل الناس يخاف ما من أحد إلا ويخاف. ﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ وصف الله عز وجل خروج موسى عليه السلام وقال إني أخاف أن يقتلون[٦]، ومع ذلك الخوف سيطر عليه، سيطر هو على الخوف وليس الخوف سيطر على موسى عليه السلام.

فإذا وقع المرء في حالة وقع الخوف في قلبه، عليه أن يصرف الخوف بالثقة بالله وعدم الخوف من لقاء الله عز وجل وأن تكون الشهادة محبوبة إليه. «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ». بلغه الله منازل الشهداء ولو مات على فراشه، لماذا الناس لا يقولون الحق؟ لماذا لا ينطقون بالحق؟ كيف يتمثل المرء أن خير الشهداء حمزة والرجل قام إلى حاكم فنصحه ونهاه وأمره فقتله كيف يمكن هذا؟

ما الذي أوصل موسى عليه السلام ليدخل على هذا الطاغي الكبير فرعون فيقول له لعله يتذكر أو يخشى، فيدعوه إلى الله ويناظره مناظرة الثابت، ثابت الجنان والقوة يسأله الأسئلة فيجيبها، من ربكما يا موسى ربنا الذي أعطى كل شيء... ما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ولا ينسى...

---

٦ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ -الناشر

وهـو يتهـدده ويعـرض عنـه مـرة ﴿قَـالَ إِنَّ رَسُـولَكُمُ الَّـذِي أُرْسِـلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُـونٌ)﴾، يستهزئ به ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾، يهدده فما الذي صبره؟ هو قوة القلب شدة القلب عند حضور البأس.

والناس يرون السلام والهروب وهذا يرونه الحكمة وإنما هو الجن والخور. ولذلك علينا في هذا الزمان أن نتمثل بهذا الخلق وأن نتمثله تمثلا صحيحًا وهناك فرق بين الشجاعة وغيرها مما يتجاوزه الناس من الوقاحة وغيره. لكن أن يكون الرجل شجاعا وذكر قال ابن حزم أن الشجاعة هو بذل النفس للموت في سبيل الدين وسبيل العرض وسبيل الجار.

للدفاع عن المكرمات إذا طلب منك مكرمة من المكارم أن تخرج وتلبي عندما تسمع جارا يدعوك أو تسمع رجلا يدعوك إلى مكرمة من المكارم للدفاع عن عرضه للدفاع عن ماله عليك أن تبذل نفسك. عندما تطلب للشهادة ولو كان في هذا الشهر ولو كان في هذه الشهادة إيذاء لك وسجن لك فلا يقع إلا ما قدره الله عز وجل عليك.

كان النبي صلى الله عليه وسلم أشجع الناس وكذلك كان الصحابة حتى لقب حمزة بأسد الله وذلك لشجاعته رضي الله تعالى عنه أسد الله وأسد رسوله. الصحابة رضي الله عنهم كانوا صارت لهم خصال عظيمة تميزوا بها وألقاب جليلة جنوها من خلال فعالهم ومواقفهم رضي الله تعالى عنهم. ولولا أن الشجاعة موجودة في العرب انظر إلى قوتهم انظر إلى شجاعة العرب. ودخلت علينا بعد ذلك الأخلاق التي تأتي من العجم فأفسدت الناس وصارت السكون والركون

واعتزال المكرمات صار هو الذكاء والخوف من الأذى صار هو الحكمة. فهذا خلق عظيم علينا أن نتمثل به وعلينا أن ندرب أبناءنا عليه وعلينا أن ندرب أنفسنا عليه وعلينا أن نضعه موضعه. عندما يموت المرء في سبيل دينه لا يذم لا يقال متهور عندما يقول كلمة الحق فيؤذى لا يقال عنه أنه جاهل بل يمدح.. موازين الحق في هذا.

الحياء

والحياء هو صفة عند أهل العلم وعند أهل الدين هو ملكة في النفس. ملكة. معناه شيء كامن في النفس يضبط حركتها ويضبط فعلها ويضبط قولها. ملكة في النفس تدعو إلى المكارم، إلى مكارم الأخلاق وإلى مكارم الشمائل، وإلى عظائم الخيرات، وإلى ترك المنكرات. الحيي لا يأتي المنكرات. حياء من الله، حياء من الناس، حياء من والده، حياء من أهله، حياء من عشيرته، فلا يأتي المنكرات، الحياء يدفع على الكرم لأن المرء لا يحب أن يكون بخيلا يستحي أن يقال عنه بخيل، والحيي لا يكون جبانا لأنه يستحي أن يقال عنه ذلك. والحيي لا يأتي المنكرات في الشارع ولا يأتيها.

حتى أن ابن القيم له كلمة رائعة قال: "الحياء هو خاصة الإنسانية". يعني الذي يميز الإنسان عن الحيوان وعن الدواب عن الحشرات، إنما هو الحياء، الإنسان الحيي لا يأتي أهله في الشارع كما تأتي الدابة الدابة، كما يأتي الذكر الأنثى من الدواب، لا يأتي، لو كانت المرأة حية لا تخرج وهي سافرة، ولو كان رجل حييا لا يسمح لعرضه أن يخرج إلى الشارع وهي سافرة، لا يرضى بأن يخرج

وهو قد كشف عوراته، ولذاك المروءة أساسها الحياء، وأساس المروءات التي يمدح بها الناس هو الحياء، لأن لا يُذم لأن لا يُستهزأ به لأن لا يُقبّح.

والنبي صلى الله عليه وسلم كان أشد حياءً من العذراء في خدرها كما وصف صلى الله عليه وسلم. تصور أن المرأة التي لم تعتد مقابلة الرجال ولا ترى إلا أهلها ممن أباح الله عز وجل النظر إليهم وهي مصونة في بيتها فحين تأتيها الكلمة النابية تحمر حياء وتستتر لأن لا تسمع الشر. لا تأتي الشر هي بنفسها فقط ولكن تستحي أن ترى الشر أن تنظر إلى الفساد هذا كان شأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يأتي بشيء يؤذي أحدًا من الخلق مما يستقذر من صفة جسمية أو من صفات خلقية، لا يأتي، وإذا جاءه ورأى شيئا مما يُستحيا منه استحيا، حتى لو كان الفعل من غيره.كما أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى على رجل صفرة. فلما قام، قال لأصحابهمرور فليغيرها، استحيا أن ينظر إلى شيء يذكره بإتيان الرجل لأهله.

فهذا من حيائه صلى الله عليه وسلم وهكذا كان الصحابة حتى أن أبا بكر ذكر عنه أنه كان يستحيي إلا أن يقنع رأسه وهو على حاجته، استحياءً حياءً، ولكن استحيوا من الله حق الحياء. جاء في الأثر: "استحيوا من الله"، لأن الحياء خلق يبعث على المكارم على الشكر المنعم على ترك الرذائل. ويكفي ما ذكر الله عز وجل لنا من قصة ابنتي صاحب مدين ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ غفرة... لا تظهر شيئا من وجهها ولا تتحرك تحرك الذي يجذب الناس، تضرب برجلها ليعلم ما تخفي من زينتها، بل جاءت على استحياء ورأى منها ذلك

فقبل صلى الله عليه وسلم أن يشتغل عندهم.

وذاك بالحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها الايمان بالله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»، قال: «والحياء شعبة من الإيمان»، خصه بالذكر في نسبته إلى الإيمان لحاجة البشرية إليه وحاجة السامعين من مسلمين إليه. لأهميته نبه على أهميته أنه من الإيمان. الحياء من الإيمان. وحين نربط الأخلاق نربطها بالإيمان كما رأينا في الجود كما رأينا في الشجاعة كما رأينا في بقية الأخلاق، أنها مربوطة بالإيمان، الأخلاق حالة إيمانية، والإيمان هو أمر إلهي، به يوزن العبد يوم القيامة به يحسب على المؤمنين، أو يحسب على غيرهم من المنافقين.

حتى أن العلماء مدحوا بهذا. كان لابن مسعود رضي الله تعالى عنه، كان له صاحب يسمى ربيع ابن خثيم، وهو مشهور بالعبادة حتى ذكر في كتب الزهد كثيرًا هذا الرجل. كان إذا جاء لبيت ابن مسعود قالت الأمة وهي تستأذن له: جاء صاحبك الأعمى. لا يرفع عينه عن الأرض، حتى يعني سمته بهذا الاسم إما على سبيل المزاح في هذه التسمية وإما على سبيل الظن به لأنه لا يرفع عينه.

الرفق واللين

وهي من أسس الأخلاق في هذا الدين، من أسسه وعمده بل هي من أساس وجود الحياة وسلامتها وقيامها على الفطرة السليمة ألا وهو خلق الرفق واللين. وهذا الخلق نحتاجه في كل شيء نحتاجه مع أبنائنا مع زوجاتنا مع مع أهلينا مع أصدقائنا مع أحبتنا مع إخواننا في الله هذا الخلق خلق عظيم وذاك النبي صلى الله عليه وسلم جعله داخلا في كل شيء.

هذه الأخلاق التي نذكرها هنا داخلة في كل أخلاق المرء في كل سلوكيات المرء حتى وهو يتعامل مع الحيوانات حتى وهو يتعامل مع المادة. لو أن رجلا يريد أن يصلح شيئا فمن غير الرفق يفسده، حتى لو أراد أن يتعامل مع ابن صغير من غير رفق يفسده، حتى لو أراد ان يمشي في سيارته أو على دابته من غير رفق يفسده ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم: «لا يكون الرفق في شيء إلا زانه ولا ينزع الرفق من شيء إلا شانه».

تأمل هذا أن الرفق تحتاجه في كل حياتك. وهذا الرفق الذي الذي مدحه النبي صلى الله عليه وسلم: «رحم الله سمحا إذا باع سمحا إذا اشترى سمحا إذا

اقتضى»، «وإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على غيره». سبحان الله ! يا على الرفق أي من العطاء ما لا يعطي على غيره من الأخلاق لعظمة الرفق والنبي صلى الله عليه وسلم الله قال عنه ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

ولا تظنن أن رجلا قاسي المعاملة مع الناس هو لين القلب، القرآن يقول ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ فظا أي في سلوكك غليظ القلب، إما أنه مشارك له وإما أنه سببه، يعني تكون غلظة القلب سببا لفظاظة الأقوال والمواقف مع الناس، غلطة القلب شدة، شدة القلب، النبي صلى الله عليه وسلم كيف كان يتعامل مع الناس كيف كان يتعامل مع أزواجه؟ بالرفق.

وذكر الله عز وجل وصف المؤمنين ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، أذلة أذلة. الذلة مع المؤمنين، الذلة مع الزوجة الذلة مع الولد الذلة في الحياة هذه مكرمة وليست ضعفا. إنما العزة على الكافرين أن تكون عزيزا على الكافرين أن تكون قويا في دينك أمام الفتن. لا كثير الصخب والصراخ حتى ينفر الناس منك ولا يحبون الجلوس معك. تأملوا رحمته صلى الله عليه وسلم ولينه ورفقه. ما ضرب يوما عبدا ولا طفلا بيده قط صلى الله عليه وسلم.. ما ضرب.. هذا هو النموذج لا تقدم لي نماذج أخرى. هذا هو النموذج العظيم الذي ينبغي أن تقتدي به، حتى قال أنس رضي الله تعالى عنه: «خدَمْتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عشْرَ سِنينَ، فما قال لي: أفٍّ قطُّ»، و «أُفٍّ» معناها ضجر، «أف» أتضجر، يتضجر، فلم يقل له، لم يتضجر منه قط، ولا وجد في قلبه شيء، حبسه وأظهر له السرور، لأنه يربيه، «ولا قال لي لشيء فعلته لما فعلته ولا لشيء لم أفعله هلا فعلته»، عشر سنين، هذا

خلق النبي صلى الله عليه وسلم.

وانظر إلى رفقه مع نسائه مع غيرتهن الشديدة ويراجعنه. يقول مرة عمر راجعته زوجته فغضب، قال تراجعينني؟ قالت نساء النبي يراجعنه. فذهب وسأل ابنته حفصة فوجد أن الأمر كما قالت يراجعنه. ما معنى يراجعنه؟ يعني يتحدث الحديث فيقابلنه بمثله. هلا فعلت كذا، أجل الموضوع، هذه مراجعة، لو قال لها مثلا افعلي كذا.. ولما راجع علي رضي الله عنه راجع النبي صلى الله عليه وسلم لما قال: «ألا تصليان»، فقال له علي رضي الله عنه لما جاء وجلس بين فاطمة وعلي رضي الله عنهما، «فقال: ألا تصليان؟، قالوا: يا رسول الله أرواحنا بيد الله إن شاء قبضها وإن شاء أرسلها. فخرج النبي صلى الله عليه وسلم يقول: وكان الإنسان أكثر شيء جدلًا».

هذه مراجعة، فلم يكن صلى الله عليه وسلم يغضب إلا لله. كان حليمًا هينًا مع الخلق. وهذا ما نحتاجه من أجل سلامة الأخوة في الله. الأخوة في الله قيمة عظيمة. تربية الأبناء أحسن طريقة لتربية الأبناء هو الرحمة عليهم، الرفق بهم. النبي صلى الله عليه وسلم يأتي إليه الصبي وهو ساجد إماما للناس فيجلس عليه. قال لا يريد أن يريعه لا يريد أن يعجل عليه أن يرفعه لئلا يسقط الولد فيعجل ذهابه حتى ينهي لعبته وينهي متعته في الصعود ظهر النبي صلى الله عليه وسلم. أي خلق هذا. فالرفق واللين خلق نحتاجه في حياتنا نحتاجه مع زوجاتنا مع أبنائنا مع إخواننا. علينا أن نضبط أنفسنا بهذا الخلق. أن نضبط أن نشد على إرادتنا التي تنزع إلى أن نكون شياطين. لأن ما يقابل الرفق إنما هو الغلظة وهو صفة من

صفات غلاظ القلوب الذين يبغضهم الله عز وجل. فالله يبغض الألد الخصم الذي يكثر الخصام والمناظرة. ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا».

الشكر

الشكر. وهذا خلق من أخلاق الإيمان. فحالة العبد في هذه الدنيا بين أمرين كما في الحديث. بين أن يقع عليه مصيبة فيحتاج إلى الصبر. وهذا سنتحدث عنه في درس قادم إن شاء الله سبحانه وتعالى. وبين نعم تنزل عليه وهي الأكثر والأبلغ والأعظم. فيحتاج إلى خلق الشكر ولذلك الإيمان أيها الإخوة الأحبة إنما يقوم على شكر المنعم.

وما حدثنا الله سبحانه وتعالى. ما حدثنا جل في علاه عن نعمه علينا إلا أن نشكره ولذلك قال سبحانه وتعالى ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ وقد ذكر نعمه سبحانه وتعالى من أجل أن نشكره. وعدنا بالشكر فقال ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

وعد أنه إذا شكرنا ليزيد. والشكر خلق كما ذكرنا في لقاء سابق خلق وملكة لا يمكن أن تجزأ وفي الحديث: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله». فإذا عليك أن تشكر الناس الذين ينعمون عليك وخاصة الوالدين والأحباب والأصدقاء. هؤلاءِ لهم حق الشكر عليك. بأن بأن تقوم بما يجب من شكرهم ومن ذكر

فضلهم عليك ومن اعتراف بهذا. الاعتراف. لأن من لا يرى يدًا صغيرة حاضرة ظاهرة بيّنة تنعم عليك. من لا يراها لا يرى يد الغيب. حتى ولو كثرت نعمها عليك. ولذلك هذا الخلق الله عز وجل أحبه فسمى نفسه به فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾.

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ هذه النعم التي عليك أن تحمد الله عز وجل عليها كذلك عليك أن ترى الوسائط التي أوصلتها إليك. من نعم الله إن يسر لك والدًا، من نعم الله عز وجل أن يسر لك أمًا، من نعم الله أن يسر لك من يعطيك. فلك هذه الأدوات والوسائل التي بينك وبين المعطي. عليك أن تشكرها عليك أن تحمدها. والشكر صفة أصيلة عظيمة في القلب. ملكة نفس كما في كل الأخلاق. ملكة نفس تعني أنك تعترف بحق الآخرين عليك.

نرى للأسف في زماننا هذا أن الناس لا يرون إلا الشرور من الناس. لا يرون إلا المفاسد في الناس إلا القبائح في الناس. ولا يرون العطايا التي يقدمونها لهم. أخوك الذي يقف معك في المسجد يجب أن تشكره. الشيخ الذي يعلمك الحكمة ويعلمك العلم ويعلمك حديثًا من الأحاديث هذا ينبغي أن تشكره وأن تعترف بفضله. لأن هذه هي حقيقة، أنت لم لم تخرج هكذا، أنت لم تجد نفسك.

﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ هذه سمة قارون، سمة الشياطين، وإنما سمة المؤمنين أن يعترفوا بحقوق الآخرين عليهم، وهذا الذي ينبغي أن يكون، أن

ترى المحاسن والفضائل في البشر، انظر أن صفة الشكر من أعظم ما تحصّله فيك، أنك ترى المحاسن في الإخوان أنك ترى المحاسن في والديك، أنك ترى المحاسن في أصحابك وأصدقائك ولو كان القليل فيعظم في عينك، لأن القليل مهم جدًا في هذه الحياة وهذه قدرته.

والله عز وجل قال سبحانه وتعالى ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ سنجزي الشاكر، الذي يشكره يجزيه الله عز وجل، سواء شكر الله عز وجل ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ ولذلك كان من دعائه، اللَّهُمَّ أَعِنِّى عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِك ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي﴾.

التواضع

حديثنا عن خلق التواضع والذي هو عند أهل العلم يعني لين الجانب، التواضع هو لين الجانب وعدم الغرور، يقابل التواضع الغرور. والتواضع كما أنه فيه ملكة للنفس كذلك هو سلوك عملي، الناس يعني يتعاملون به ويأتون به على وجهه، ويعني أعنى ما يعنيه هو خفض الجناح ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ فخفض الجناح هو التواضع، ومن تواضع لله رفعه الله سبحانه وتعالى. والله سبحانه وتعالى حض على هذا الخلق في سور مكية، كما في سورة الرحمن كما في سورة الفرقان، قال ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.

أول وصف وصفه بهم، أول وصف وصف الله عز وجل به أهل القرآن، وصف عباده سبحانه وتعالى أنهم يمشون على الأرض هونا، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ﴾. وانظر هذه الملائمة العظيمة بين قوله ﴿عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾، وبين قوله ﴿يَمْشُونَ﴾ فهذه صفة العبد. وهذا رأيناها منه صلى الله عليه وسلم لما دخل عليه أعرابي فجزع، لما رأى النبي خاف فالنبي طمأنه وهدأ قلبه وقال: «إنما أنا ابن امرأة

كانت تأكل القديد بمكة». تأكل القديد بمكة يعني أنها كانت تأكل مما يأكل الناس وبشرية وليس فيها شيء من التميز على أترابها وعلى أخواتها، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل، بشر، فلذاك هذه الصفة لازمة للمؤمنين، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾.

خلق التواضع هو خلق ايماني، «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا»، هذا وحي إلهي، «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». والعرب ترى أن الافتخار صفة محمودة، يفتخرون ويغترون، فجاء الإسلام ليقضي على هذا الخلق ويبدلهم بخلق أعظم منه، إنما هو خلق التواضع «إنَّ الله أوحى إليَّ أن تواضعوا، حتى لا يبغي أحد على أحد».

إذا أساس البغي في هذه الدنيا هو ترك التواضع. وهذه فتنة الأغنياء وفتنة المسؤولين وفتنة العلماء، وهي صفة للعلماء الصالحين وللحكام الصالحين وللعبيد الصالحين، انه إذا جالس الناس جالسهم بتواضع وإذا حدثهم حدثهم بتواضع وإذا سلم عليهم سلم عليهم بتواضع. وإذا جالسهم جالسهم بتواضع، غير ذلك يقول صلى الله عليه وسلم: «ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله».

سبحان الله أنا دائما أتفكر في هذه الأحاديث، التي عند الناس قاضية على معاني باطلة عندهم، أن التواضع يؤدي كما يقول الناس أن يستصغروك، أو يحتقروك، إذا تواضعت احتقروك، لا، بل إذا تواضعت لله هابوك، لأن الله عز وجل يضع في قلوبهم مهابة لك، ويضع في سمتك المهابة، ويضع في حركتك المهابة بالتواضع، النبي صلى الله عليه وسلم هو أكثر الناس تواضعا، وتركا للكبر، وتركا للغرور، ومع ذلك كانت هيبته في القلوب، حتى إن الصحابة رضي الله تعالى

عنهم لا يقوون أن ينظروا إليه ويطيلوا النظر إلى وجهه الشريف الكريم صلى الله عليه وسلم.

ولذلك كان من صفته صلى الله عليه وسلم أن يجالس الصحابة، فيأكل ما يأكلون، ويتحدث فيما يتحدثون به، حتى إن الأعرابي ليدخل عليهم فيسأل أيكم محمد صلى الله عليه وسلم، لو العلماء في هذا الزمان، لو المشايخ في هذا الزمان، لو الأصدقاء الأحبة في الله في هذا الزمان، على هذا الخلق، لسعد الناس، والناس نسوا خصوماتهم، وإنما يقع الفساد بسبب الغرور والكبر والافتخار، ولذلك الله سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

بعض الناس يقول الجناح من سمته الطيران والعلو والارتفا ع والله يأمره أن يخفض جناحه للمؤمنين، اخفض، لا تجعل جناحك يرتفع على إخوانك بل اخفضه لتكون موطأ الأكناف. الناس يجالسونك فلا يشعرون بهذا. ولذلك الله عز وجل قال ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أذلة، هذا انتبه لها، انتبه، هذا الذلة على المؤمنين ليست عيبا ولا تقصيرا ولا ضعفا بل هي عمل إيماني. كانت عائشة رضي الله عنها تقول كلمة عظيمة، إنكم لتغفلون أفضل العبادة، تغفلونها، أفضل العبادة، قال هي التواضع. "إنكم لتغفلون أفضل العبادة، التواضع"، رضي الله تعالى عنها ولذلك الله سبحانه قال ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾.

ولا تصعر خدك أي تلوي عنقك متكبرا عنهم. تصعر خدك أي تلويه لا تنظر إليهم مترفعا، كما يفعل الجاهلون. وقال سبحانه وتعالى ﴿وَلَا تَمْشِ فِي

الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ إن الله لا يحب كل مختال فخور. هذه آية ينبغي أن نجتهد فيها وأن نمتثلها وذاك من أعظم صفات العلماء. أنهم يتواضعون، أنهم متواضعون، انظروا إلى تاريخهم انظروا إلى أخلاقهم مع إخوانهم إلى خدمتهم كانوا يخدمون إخوانهم يخدمون أبناءهم يخدمون تلاميذهم. ترك التواضع يؤدي إلى بغضاء القلوب ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ بترك التواضع يقع الفخر ويقع الكذب ويقع... لأن الغرور كذب.

الصبر ١

وحـديثنا عن الأخلاق وأهميتهـا في دين الله عـز وجـل وفي زماننـا هـذا نستدعيها أكثر مما نستدعي شيئا آخر بعد تصحيح التوحيد وتصحيح العبادة لابد من الاهتمام بالأخلاق والأخلاق هي عبادة لله عز وجل تقدم هذا بينا. نأتي إلى خلق كان ينبغي أن نتحدث عنه في بداية الأمر لكنه في الحقيقة نتحدث عنه في ختام الأمر أو قريبا من الختام بأهميته وهو خلق الصبر وسبب أهمية هذا الخلق أن جميع أعمال البشر تحتاج إلى هذا الخلق وجميع الأخلاق تحتاج إلى هذا الخلق، جميع الأخلاق، الصبر "وما أعطي أحد خيرا من الصبر" هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وما أعطي شيء أعظم من الصبر، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد أعظم من الصبر.

ولذلك العبادة لله تحتاج إلى صبر ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ أداء العبادات والمحافظة عليها يحتاج إلى صبر، العبادات كلها، الحج من حج يعلم أنه من غير الصبر لا يصل إلى مبتغاه وسيقع منه الشر والغلط العظيم، الذي يصوم، الصوم هو الصبر، والحديث والصوم جنة فسر هذه الجملة من كلام النبي

صلى الله عليه وسلم فسرها من أهل العلم أن الصبر المقصود به الصوم هنا، ودلالة الصبر على الصوم شيء نفهمه لأنه صبر على ترك الشهوات، يصبر على ترك طعامه وشرابه وإتيان أهله، فالصبر هو خلق جامع لكل الأخلاق التي نحتاجها ويجب علينا أن نتعلمه لأنه تمرين للإرادة.فالصبر تمرين للإرادة، تمرين لإنسانية الإنسان، لخلق الإنسان لعقل الإنسان، الغضب هو ضعف.

والصبر كذلك تعلم، تصبّر، تعلم، عليك أن تتعلم وأن تبني أبناءك عليه، عليك أنت تبني نفسك عليه، أن تتعلمه، والناس يظنون أن الصبر هو صفة فطرية لا دور لنا فيها هذا يصبر وهذا لا يصبر، فليبقى كل واحد مكانه، هكذا يظنون، يظنون بأن الصبر هو صفة فطرية فقط، نعم بعض معانيها فطرية، ولكن هذا الخلق يتشكل في الإنسان تشكلا تاما يتم بالإرادة، وتقوية الإرادة في ضبط النفس علينا أن نتعلمه.

وهذا علم مفقود في زماننا، المفقود، بعض الناس يتعلمه من خلال التجربة التي يحتاجها، الشيخ لأنه يرقب الآخرة ويحب لقاء الله ويحب أن يبذل العلم للناس فيصبر على تلاميذه، فيدرك هذا المعنى، فيبدأ يصبر عليهم، مرة يتأخرون مرة يغيبون مرة يسفهون بالكلام مرة يسفهون بالسؤال ويجهلون، فيصبر عليهم فيتعلم الصبر من خلال الممارسة، فهذا شيخ صابر.

الأب يصبر على أبنائه يقول ماذا أفعل؟ هل أغضب فأخسر هؤلاء الأبناء؟ فيبدأ الأب بتعلم الصبر، لكن ما نفقده أن يكون هناك مدارس لتعليم الصبر، كيف، انظر، الآن هذا كلام مهم لنرى كم نحن نحتاج إلى مدارس تعليم

الأخلاق، كما نفتح مدارس لتعليم العلوم، وهذه أنا أقولها للإخوة الذين عندهم مساحات من الأرض هم يسيطرون عليها، عليهم أن ينشئوا المدارس التي تعلم الاخلاق.

وأول خلق يجب علينا أن نعلمه أبناءنا هو الصبر، مع الأخلاق الأخرى التي تقدم ذكرها من الصدق والأمانة، حتى نعلم الصدق نعلم الأمانة نعلم الشجاعة نعلم الكرم، يتعلم يجب أن تعلمه، والتعلم ليس فقط بالموعظة، يعني ليس فقط هذا المجلس الذي يعلم قيمة الصبر، نعم التعليم بمعنى الموعظة له أهمية، وهو ركن من أركان التعليم، الموعظة الحسنة، لكن كذلك يجب أن نعلمهم.

﴿صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ إلا أن الصبر لا ينشأ إلا باليقين. أنت لا يمكن لا يمكن أن تصبر على طول الطريق إلا بيقينك أن الله سيجزيك ونهاية الطريق هي النصر ونهاية الطريق هي الرحمة الإلهية ونهاية الطريق هي الرضا الإلهي. فلذلك علينا أن ننشئ الأخلاق التي تنشئ الصبر.

الناس قالوا قديما النصر صبر الساعة. علينا أن نعلم الناس كيف تدرك الأمور. لماذا أتحدث عن هذا. أتحدث عن هذا لأن الناس اليوم بسبب الحياة السريعة يريدون كل شيء بجهد قليل. اضرب لكم مثالا آبائنا عليهم رحمة الله جميعا من أهل الإسلام واليقين والصبر بنوا حياتهم لبنة لبنة. وكان يفهم الواحد منهم إذا كان مزارعا أن يخرج إلى الأرض فيحضر الحجارة الصغيرة ويبنيها حتى تكون حائطا وبعد سنة ترى الأرض جميلة وهذا الجبل الذي كان خربا صار جميلا

ومرتبا. آبائنا بالقرش والقرشين بنوا البيوت وعلموا أبنائهم. اليوم يريد الواحد منهم يصبح مليونير في لحظة واحدة، لماذا.؟ لأن الحياة السريعة أفسدتهم.

الصبر٢

كـانوا قـديما يقولـون السـرعة والاتقـان لا يجتمعـان. اليـوم السـرعة والاتقـان يجتمعان. بمعنى وجود الآلة ليس لوجود اليد وإنما الوجود الآلة. هذا الآلة المتقنة والتي الناس بالغوا ووصلوا إلى مستويات عالية في إتقانها حققت ما يتناقض مع مثل الناس السائر "السرعة والإتقان لا يجتمعان" صار يتحقق السرعة والاتقان. لكن هذه الحياة السريعة التي نحياها في كل سبلنا أفسدت علينا أخلاقنا.

هـذا الصـراع بين الآلـة المتوحشـة وبين الإنسـان الفطـري، هـذا صـراع حقيقي. نتحدث عنه لأن كثيرا من صراعاتنا في حياتنا تدور حول هذا المجال. هذا المعركة. وهو الصراع بين الآلة المتوحشة. هناك آلة متوحشة تريد أن تفسد الخُلق، كل شيء الذي نعيشه اليوم هي آلة لخدمتنا لكنها تحولت إلى سيد علينا. تحولت إلى سيد علينا. من هذه السيادة التي نعيشها أننا صرنا نشعر أننا لا نعيش بدونها، هذا بدل أن نسيطر عليها صارت تسيطر علينا.

النـاس الآن لـو سـألتهم بـأدق الأمـور هـل تسـتطيع أن تعيش بغـير معلقـة، بعضهم لا يتصور أن يعيش بغيرها. مع أنه وهم، هذا القول وهو عدم القدرة على

العيش من غير هذه الآلة وهم. عاش الناس حولها وقد جربت هذا من ذاتي ومن نفسي كنت أظن أنني لا أستطيع أن أعيش في زنزانة واحدة سنين طويلة. عشنا في زنزانة واحدة. الإنسان يتأقلم يتغير من أعظم صفات الإنسان أنه يتربى يتغير. قيمه تختلف ويكون من أكفر خلق الله كالسحرة، ثم في لحظة يقذف الله الإيمان في قلب هؤلاء السحرة فيموتوا شهداء بررة. يعني إياك هنا نقطة مهمة جدا في قضية التربية. ونحن هذا مهم في قضية الأخلاق.

إياك أن تيأس في تغيير خلق. إياك إياك أن تيأس في تغيير خلق عندك. تقول أنا لا أستطيع. هذا مبدأ الصبر أن تصبر على نفسك. أجهل الجهلاء يصبح من أعلم العلماء بالتعلم والصبر على العلم. وأكثر الناس غضبا يصبح أكثر الناس حلما. الذي يحقق الصبر.. نهاية الصبر الحلم وأصل الحلم الصبر، لا يكون الحلم إلا بالصبر لأن الحلم هو العفو عن الآخرين عند وقوع البلاء منهم عليك.

فلذلك الآن اليوم هذه نقطة مهمة. الآلة التي نعيشها اليوم آلة متوحشة. غلبتنا وسيطرت علينا فبدل أن نستخدمها من أجل أن تقضي حوائجنا وأن نكون نحن الأسياد عليها تحولت هذه الآلة إلى سيد علينا اليوم واحد يتصور أنه لا يستطيع أن يعيش بلا تلفاز لا يستطيع أن يعيش بلا تلفون لا يستطيع أن يعيش بلا سيارة. فصار الإنسان مأسورا لهذه الآلة. صحيح أن الآلة سهلت لنا الحياة. لكنها قضت على الكثير من إنسانيتنا. ولذلك على المرء أن يتعلم أن يعود إلى انسانيته. يتعلم أن يعود إلى إنسانيته، أنا أضرب أمثلة يسيرة. يجب على المرء أن يتعلم كيف يمشي إذا كان المسجد بعيد عنه نصف كيلو، لا يركب السيارة يمشي.

يجب أن يتعلم هذا.

اليوم أنت بدل أن اضرب لكم مثالا، بعض الناس يقول أنا ما أهميته أن أجلس عند العالم أجلس مباشرة. هذا يأتيني إليه التلفاز. يأتيني إليه المنشور، يأتيني إليه الفيلم الذي صوره أو الدرس المصور. كم فقد هذا الإنسان من إنسانيته أن يكون جالسا هو جالسا جلسة العلماء في بيته يسمع العلم وهو يمد رجليه وهو ربما ينشغل ويضيع عنه، لكن في مجالس العلم هيبة لها معاني من تأثيراتها على النفس في تربيتها لخلق الإنسان.

الصبر٣

هذا الخلق كما قلنا وأكرر لابد أن نتعلمه ولابد أن نفهمه. وذلك في تربيتنا لأنفسنا. في تربيتنا لأنفسنا للحفاظ على إنسانيتنا. الحفاظ على الإنسانية مقصد شرعي، لأن لا يتحول الإنسان إلى بهيمة إلى دابة، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ الله عز وجل عاب على الكفار أنهم كالأنعام، وعاب على العلماء الذين لا يستفيدون من علمهم ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾، وعاب على الذين يأخذون العلم فلا يرفعوا شأنهم وأنما يرتكسون في المعاصي قوله سبحانه وتعالى ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾.

علينا أن نتعلم الأخلاق. الخلق الذي يعيدنا إلى إنسانيتنا، هو الصبر. ما الفرق ما بين الإنسان الواعي والإنسان الجاهل؟ ما الفرق؟ ما الفرق بين الطفل الصغير وبين الإنسان البالغ الذكي؟ الطفل إذا جاع بكى وصرخ ومزنق وإذا غضب مزق، والعاقل هو الذي يضبط هذا النفس البشرية المنفلتة. في حياتنا نحتاج إلى هذا الخلق في عبادتنا في العبادة.

وذلك بتربية أبنائنا تدريجيا على الأمور شيئا فشيئا حتى تصبح الأمور

عندهم مدركة. نحن مشكلتنا أننا نضع لأبنائنا الأمور مرة واحدة. فالطفل يهرب منها ويفزع لكن انظر إلى الآباء الأذكياء يعلمون أبنائهم السور الصغار حتى إذا أدركها علم أنه يمكن أن يحفظ الكبيرة. وهكذا يترقى في قضية حفظ القرآن.

كيف نربيه؟ انظر إلى ابن السبكي عليه رحمة الله أن والده كان يوقظهم في الليل ليلعبوا. ليتعلموا قيام الليل بعد ذلك إذا كبروا عبادة. للصلاة والعبادة والذكر وقراءة القرآن. لكنه في صغرهم علمهم. الخلق الذي نحتاجه لنصبح بشرا نصبح خلقا سويا هو أن نعيده إنسانيتنا. أن نعود إلى إنسانيتنا العظيمة. وأعظم ما - اكرر - أعظم ما ينبغي أن نتعلمه هو الصبر، أن نعلمه لأبنائنا. أن نعلمه لأنفسنا.

لو هذا الحديث الذي يجري بين الناس ويجريه العلماء يقول فلان كان أبو اسحاق الفزاري عليه رحمة الله بكى في آخر عمره وكذا، سفيان أنه لا يستطيع أن يقوم في الركعة الواحدة إلا بمقدار البقرة وآل عمران. هل تظن أن هذا الخلق في الصبر على القراءة والقيام على الصلاة جاءه مرة واحدة. لا. هذا الخلق جاءه متدرجا. متعلما إياه موصلا إليه جرعة جرعة. الأخلاق تحتاج إلى جرعة جرعة كالصعود إلى الجبل. كالبناء. البناء يحتاج إلى صبر.

ولذلك لابد أن تفهمه أنه لا يقوم مرة واحدة ولكن يحتاج إلى لبنة فوق لبنة. وهذا الذي يقرأ القرآن في أسبوع لم يبدأ بهذا لم يبدأ بهذا. لكن ترقى فيه مرة بعد مرة. هذا اللي صار عالما هل قرأ الكتاب مرة واحدة. الكتاب هو مجموعة حروف ومجموع أوراق. تعلم الصبر على أن يجلس فيأتي عليهم واحدا واحدا. وتجاهده نفسه وتدفعه وتقول له قم لا تفعل هذا. قم إلعب قم الهو.

الصبر٤

ضرورة هذا الخلق للحياة وفي حفاظنا على طاعتنا لربنا ومن أجل الوصول إلى المقصود وهو إرضاء الله سبحانه وتعالى والموت على التوحيد والسنة. أعظم ما نحتاجه نحن المسلمين أعظم ما نحتاجه نحن المسلمين في هذا العصر هو أن نصبر على ما نراه من شهوات وشبهات فالوعد الإلهي بين أيدينا قادم. شئنا أم أبينا، رأيناه بعيوننا أم رآه أبناؤنا بعد ذلك. الذي يقوي العزائم ويحقق الصبر هو النظر إلى موعود الله عز وجل بيقين. والتعامل مع أحكام الله سبحانه وتعالى الخبرية. التعامل مع أخبار الله عز وجل بيقين وثبات.

الصحابة رضي الله عنهم إنما مدحوا في مكة بقوة إيمانهم ما الذي جعل هذا الإيمان يقوى. هو صبرهم. صبرا آل ياسر. انظر إلى هذه الكلمة الجميلة من فم النبي صلى الله عليه وسلم الرحيم الذي ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ يقول لآل ياسر: صبر آل ياسر فإن موعدكم الجنة. الصبر خطوة فوقه تحققه من نفسك يكون بعد ذلك الجنة.

هذا الانحلال الذي نراه في مجتمعاتنا ولقلة اليقين على موعود الله عز

وجل. لأنهم لم يصبروا تجد المرء يصبر قليلا ثم بعد ذلك يزداد البلاء فيفلت معه العيار ويخرج من ضمن مقامات الصبر. ليلحق الشهوات. وبعد أن يدركها يدرك أنه أدرك قاذورات لا قيمة لها. فلذلك من أعظم ما يحقق الصبر هو أن تقرأ أجره وفضله وما قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم ما قاله القرآن ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

أن تعرف فضل هذا الأجر العظيم أن تعلم أجر هذا الخلق العظيم. ما هو فضله وكيف يحقق السعادة للإنسان. الصبر يحقق السعادة للإنسان. وجميع الأخلاق تحتاجه. جميع الأخلاق الحلم يحتاج إلى صبر. العفو يحتاج إلى صبر. العبادات تحتاج الى صبر. بلوغ المآرب في الدنيا والآخرة. يحتاج إلى صبر. ولذلك أولا أن نقرأ أحكامه التي جاء.. أجره.. الفضائل التي جاء بها. وأن نراقب أنفسنا لأن لا يتكرر منا الغلط في سقوطنا بسبب قلة الصبر وأن نراقب أبنائنا ونراقب أمهاتنا ونراقب زوجاتنا أن نراقب. هذا تمرين لهم عليه. وذاك عن طريق التدرج.

نحن قلنا بأن حفظ القرآن إنما هو بالتدرج والصبر. قيام الليل يكون بالصبر والتمرين والتدريب. الصيام للأبناء. انظر إلى آبائنا كيف علمونا الصوم يقول لك: هذه صيام العصفورة هذا من الذكاء والحكمة. يصومونهم نصف النهار. فبعد ذلك يزيدون. بعد ذلك تجد في السنة القادمة يصومون رمضان كله.

الإنسان عنده الإرادة أن يخرج من أعظم العادات وأعظم الصفات إلى غيرها إلى ضدها. هذا تدريب نفسي على قوة الإرادة. أن نمرن أنفسنا على قوة

الإرادة. حتى بالتدريب البدني. نحن بحاجة إلى التدريب البدني.

صلة الرحم

واليوم حديثنا عن خلق عظيم نحتاجه في حياتنا وهو من أسباب رحمة الله على خلقه ألا وهي صفة الرحمة. وهنا سأخص الرحمة على رحمة خاصة. الرحمة على جميع الخلق والرحمة يدخل فيها صفات كثيرة لكن نتحدث الآن عن صلة الرحم. وكما ترون كما جاء في الحديث أن هناك علاقة بين الرحم والرحمة. فالله عز وجل اشتق لهذه الرحم اشتق لها اسما من اسمه فهو مشتق من اسمه الرحمن جل في علاه الرحمن الرحيم.

وأنا أتحدث عن هذا الخلق العظيم وهو صلة الرحم لأنه من أعظم الصفات التي يقع بها الرحمة على المخلوق إذا وقعت من العبد على رحمه. ولأنها من أسباب الرزق. فوالله بالمتابعة والملاحظة وجدت أن أعظم الصفات التي تؤدي إلى الرفق وتؤدي إلى رحمة الله هو أن ترحم على الخلق. وأعظم الرحمة على الضعفاء والمساكين. والرحم ضعيفة مسكينة تحتاج إلى رحمة منك. أتحدث عن الرحمة. هؤلاء الذين يظنون أنهم بلغوا من المال وبلغوا من العز والجاه ما يستغنوا به عن ضعفة المسلمين. هؤلاء مساكين. النبي صلى الله عليه وسلم

يقول إنما ترزقون بضعفائكم، إنما ترفقون بضعفائكم.

نحن نعظم الفقراء ونعطيهم حتى إننا نقدمهم على غيرهم. كان النبي يمشي المشي مع أضعف الخلق ويتعامل مع أضعف الناس لأن الناس ينبغي أن يمشوا بهذه الطريقة. القوي قلة. الأقوياء قلة وإذا مشى القوي بالناس بسرعته أهلكهم. شرّ الرعاء الحطمة، ولكن إذا مشوا بأضعفهم كان في ذلك رحمة وتسلية للقلوب ووصول إلى الهدف.

النبي صلى الله عليه وسلم لما تبرع أبو طلحة بيرحاء بعد أن نزل قوله سبحانه وتعالى ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾. أمره أن يضعها في أهله في أقاربه لأن الناس يحتاج إليهم لا يفزعون لك عند المهمات إلا هؤلاء. لا لا يحبك حبا زائدا حبا على أخلاقك وفوق ما أنت عليه بحب زائد إلا هؤلاء. فأنت بحاجة إليهم. ولأنه من لا يحسن إلى مواليه لا يحسن إلى إخوانه لا يحسن إلى القريب لا يحسن إلى البعيد.

الرجل الذي يحسن أخلاقه مع الناس ولا يحسن أخلاقه في البيت هذا ليس برجل حسن ولا برجل خلوق. ولذلك الرحم ينبغي أن توصل، والرحم أوسع دائرة، تبدأ من الوالدين حتى تنتهي إلى أقرب الأقرباء وأبعد البعداء من الأقرباء رحم لا ينتهي أمرها يعني ليست تنقطع عند أحد من الناس من أقربائك. لا بل هي تمتد خاصة الرحم على النساء.

والله لا يكرم المرأة إلا كريم، ولا يهينهن إلا لئيم، إنما هن عوان عندكم،

ولا تظنون المرأة تكون قوية، هذا أكذوبة، هم يصورونها ويعطونها نفخات كما يضعون البوتكس في الوجوه، يضخمونها بينما هي فارغة، لا قيمة لها، كالوجل كما في الحديث، لا قيمة له فارغ من الداخل، فهي تعظم وتصرخ، لكنها لا قوة لها، لا قوة لهذه المرأة، فلذلك نحتاج إلى صلة الرحم، إلى صلة رحمنا، آبائنا وأمهاتنا، بناتنا، وخاصة الرحم على الضعيف، البنات، الأخوات.

❁❁❁